بُنَاة دَوْلَةِ الإِسْلام

-٤٨-

خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ المَخْزُومِيُّ

رضي الله عنه

بَنُو مَخْزُومٍ

بَنُو مَخْزُومٍ أَحَدُ بُطُونِ قُرَيْشٍ الاثْنَي عشَرَ بَلْ تُعَدُّ مِنْ أَبْرَزِهَا لاَ يُسَامِيهَا إلاَّ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ (بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو عَبْدِ شَمْسٍ) وَبَنُو عَبْدِ الدَّارِ.

وَبَرَزَ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ قَبْلَ الإِسْلاَمِ المُغِيرَةُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، فَقَدْ كَانَ لَهُ مِنَ الأَبْنَاءِ البَارِزِينَ.

١ ـ أَبُو حُذَيْفَةَ.

٢ ـ وَأَبُو رَبِيعَةَ (جَدُّ الشَّاعِرِ عُمَرَ بنَ أَبِي رَبِيعَةَ).

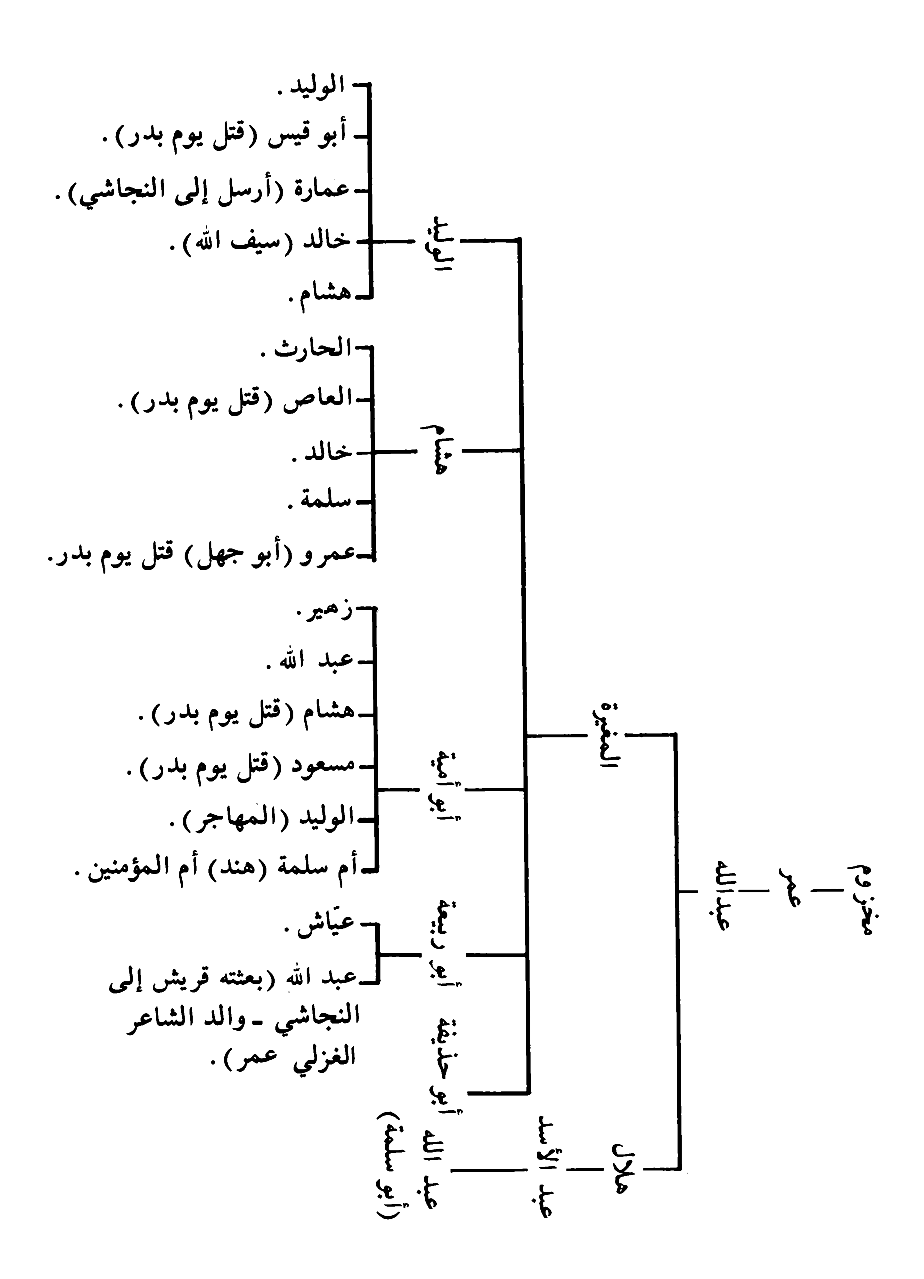
٣ ـ وَأَبُو أُمَيَّةَ الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ بِزَادِ الرَّكْبِ لأَنَّ الرَّكْبَ الَّذِي يَسِيرُ فِيْهِ، كُلُّهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ زَادِهِ، وَلاَ يَسْمَحُ لأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ شَيْئاً مَعَهُ، وَهُوَ زَوْجُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَوَالِدُ أَبْنَاءِ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زُهَيْرٍ وَعَبْدِ اللَّهِ،

وَوَالِدُ المُهَاجِرِ بن أَبِي أُمَيَّةَ، وَوَالِدُ أُمِّ المُؤْمِنِينَ هِنْدٍ (أُمِّ سَلَمَةَ).

٤ ـ هِشَامٌ: وَالِدُ أَبِي جَهْلٍ.

٥ ـ الوَلِيدُ: الَّذِيْ بَرَزَ فِي صَدْرِ الإِسْلاَمِ، وَوَقَفَ سَدَّاً فِي وَجْهِ الدَّعْوَةِ، وَكَانَ عَدُوَّاً لَدُوداً لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُعَانِدَاً عَنِيداً لِلإِسْلاَمِ. وَقَدْ نَزَلَ القُرْآنُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ بِشَأْنِهِ يَتَوَعَّدُهُ بِجَهَنَّمَ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عِنَادٍ. وَهُوَ وَالِدُ خَالِدٍ سَيْفِ اللَّهِ، وَعُمَارَةَ الَّذِي بَعَثَتْهُ قُرَيْشٌ إِلَى نَجَاشِيِّ الحَبَشَةِ، وَالَّذِيْ أَرَادَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تُقَدِّمَهُ لأَبِي طَالِبٍ لَيُسَلِّمَهَا مُحَمَّداً لِتَقْتُلَهُ. فَلَمَّا هَلَكَ الوَلِيدُ بنُ المُغِيرَةِ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلاَثِ سَنَوَاتٍ بَرَزَ ابنُ أَخِيْهِ أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بنُ هِشَامٍ أَوْ زَادَ وُضُوحَاً، وَإِنَّ مُعَادَاتِهِ لِلإِسْلاَمِ لِمَنْ قَبْلُ، وَلَكِنْ كَانَتْ زَعَامَتُهُ أَقَلَّ مَعَ وُجُودِ عَمِّهِ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرَةِ. وَلَمَّا قُتِلَ أَبُو جَهْلٍ فِي بَدْرٍ بَرَزَ ابْنُهُ عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍو، وَابْنُ عَمِّهِ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ، وَإِنْ كَانَ كِلاَهُمَا لَمْ يَبْرُزْ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ إِذ رَفَعَهُمَا الإِسْلاَمُ، وَأَعلَى مِنْ شَأْنِهِمَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأُمُّ خَالِدٍ هِيَ عَصْمَاءُ بِنْتُ الحَارِثِ أُخْتُ لُبَابَةَ بِنْتِ



مخزوم
عمر
عبد الله
المغيرة
هلال
عبد الأسد
عبد الله (أبو سلمة)
الوليد
الوليد .
أبو قيس (قتل يوم بدر) .
عمارة (أرسل إلى النجاشي) .
خالد (سيف الله) .
هشام .
هشام
الحارث .
العاص (قتل يوم بدر) .
خالد .
سلمة .
عمرو (أبو جهل) قتل يوم بدر.
أبو أمية
زهير .
عبد الله .
هشام (قتل يوم بدر) .
مسعود (قتل يوم بدر) .
الوليد (المهاجر) .
أم سلمة (هند) أم المؤمنين .
أبو ربيعة
عيّاش .
عبد الله (بعثته قريش إلى النجاشي - والد الشاعر الغزلي عمر) .
أبو حذيفة

الحَـارِثِ أُمِّ الفَضْـلِ زَوْجِ العَبَّاسِ بـنِ عبـدِ المطلِـبِ، فَعَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ وَخَالِدُ أَبْنَاءُ خَالَةٍ. وَكَذَلِكَ هِيَ أُخْتُ أُمِّ المُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الحَارِثِ الَّتِي تَزَوَّجَهَا رَسُـولُ اللَّـهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ فِي شَهْرِ ذِي القِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ.

وَأَمَّا إِخْوَةُ خَالِدٍ فَهُمْ:

١ ـ الوَلِيدُ: أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَافْتَدَاهُ أَخُوهُ هِشَامٌ، وَهُـوَ شَقِيق لَهُ، وَأَسْلَمَ بعدها، وَحَبَسَهُ أَخْوَالُهُ، وَلَقِيَ رَسُولَ اللَّـهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ عُمْرَةِ القَضَاءِ، وَالْتَحَقَ بَعْدَئِذٍ بِأَبِي بَصِيرٍ، وَيُقَالُ وَصَلَ إِلَى المَدِينَةِ.

٢ ـ أَبُو قَيْسٍ: قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِراً.

٣ ـ عُمَارَةُ: مَاتَ فِي بِلاَدِ الحَبَشَةِ كَافِراً.

٤ ـ هِشَامُ: كَانَ مِنَ المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ.

وَأَمَّا أَبْنَاؤُهُ فَقَدِ اشتَهَرَ مِنْهُمْ:

١ ـ سُلَيْمَانُ: وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلاَدِ خَالِدٍ، وَبِهِ يُكَنَّى، وَأُمُّه كَبْشَةُ بِنْتُ هَوْذَةَ بنِ أَبِي عَمْرٍو العُذْرِيَّةُ.

٢ ـ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : عُرِفَ بِقِتَالِهِ الرُّوم ، وَغَزْوِ بِلاَدِهِمْ ، وَقَدْ شَهِدَ صِفِّينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ مِنْ قَادَتِهِ. يُقَالُ : إنَّ طَبِيباً نَصْرَانِيَّاً دَسَّ لَهُ السُّمَّ فَمَاتَ مِنْهُ عَامَ ٤٦هـ. وَكَانَ الشَّاعِرُ كَعْبُ بنُ جُعَيْلٍ صَدِيقاً لَهُ ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ مُعَاوِيَةُ لِكَعْبٍ : أَنَسِيتَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بَعْدَ مَوْتِهِ؟ قَالَ : لاَ ، وَقَدْ رَثَيْتُهُ فَقُلْتُ :

أَلاَ تَبْكِي وَمَا ظَلَمَتْ قُرَيْش
بِأَعْوَالِ البُكَاءِ عَلَى فَتَاهَا
وَلَوْ سُئِلَتْ دِمَشْقُ وَبَعْلَبَكٌّ
وَحِمْصٌ مَنْ أَبَاحَ لَكُمْ حِمَاهَا
بِسَيْفِ اللَّهِ أَدْخَلَهَا المَنَايَا
وَهَدَّمَ حِصْنَهَا وَحَوَى قُرَاهَا
وَأَنْزَلَهَا مُعَاوِيَةَ بنَ صَخْرٍ
وَكَانَتْ أَرْضُهُ أَرْضاً سِوَاهَا

٣ ـ المُهَاجِرُ: وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَنَسِ بنِ مُدْرِكٍ الخَثْعَمِيَّةُ. وَكَانَ المُهَاجِرُ فِي الشَّامِ فِي الأَرْضِ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا طَاعُونُ عَمْوَاسَ مَعَ عَدَدٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فَأُصِيبَ أَكْثَرُهُمْ وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ سِوَى أَرْبَعَةٍ ، مِنْهُمُ المُهَاجِرُ. وَقَدْ شَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ مَعْرَكَةَ الجَمَلِ ،

وَصِفِّينَ. وَانْتَقَلَ إِلَى الشَّامِ، وَقَتَلَ الطَبِيبَ النَّصْرَانِيَّ الَّـذِيْ دَسَّ السُّمَّ لأخِيهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَفَرَّ مِنَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَالْتَحَـقَ بِعَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي مكَّةَ. وَتُوفِّيَ فِي الحِجَازِ عِنْدَ ابنِ الزُّبَيْرِ.

خالِدٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ

وُلِدَ خَالِدٌ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ وَالثَّلاَثِينَ قَبْلَ الهِجْـرَةِ، فَهُـوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَرْبَعَ عَشْـرَةَ سَنَةً.

وَمَا أَنْ بَلَغَ مَرْحَلَةَ الشَّبَابِ حَتَّى بَدَأَتْ تَطْرُقُ أَسْمَاعَهُ فِكْرَةُ الإِسْلاَمِ، وَمُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَخَذَتْ تَضِجُّ بِهَذَا مَكَّةُ، وَوَجَدَ نَفْسَهُ فِي بِيئَةٍ مُعَارِضَةٍ لِهَذَا كُلَّ المُعَارَضَةِ، بَلْ إِنَّ أَبَاهُ وَأُسْرَتَهُ كُلَّهَا يَتَوَلَّوْنَ أَمْرَ حَرْبِ الدَّعْوَةِ وَمُعَادَاةِ صَاحِبِهَا، فَثَبَتَ هَذَا فِي ذِهْنِهِ، وَتَرَسَّخَ فِي أَعْمَاقِهِ، وَخَاصَّةً أَنَّ الجَاهِلِيَّةَ هِيَ المُسَيْطِـرَةَ، وَفِـكْرَةَ التَّفَاخُـرِ بِالآبَـاءِ وَالأَجْـدَادِ أَمْـرٌ قَائِـمٌ، وَالقُرْآنُ يَتَنَزَّلُ مُتَحَدِّياً أَبَاهُ، مُتَوَعِّداً إِيَاهُ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ. لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ. لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ. عَلَيْهَا تِسْعَةَ

عشر﴾[1]، فَأَمْعَنَ فِي كَرَاهِيَةِ القُرآنِ، وَكَرَاهِيَةِ مَنْ يَتنزَّلُ عَلَيْهِ. إضَافَةً إلَى أَنَهُ لاَ يَزالُ تَابِعٌ لأَبِيهِ وَأُسْرَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَكُلُّهُمْ عَلَى هَذِهِ الكَرَاهِيَةِ.

فِي أُحُدٍ:

وَعَبَّأَتْ قُرَيْشٌ ثَلاَثَةَ آلاَفٍ مِنْ أَبْنَائِهَا لِلثَّأْرِ مِنَ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ قَتَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ، كَمَا عَبَّأَتْ مِائَتَا فَرَسٍ، وَقَدْ جَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَةِ الخَيْلِ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ وَعَلَى مَيْسَرَتِهَا عِكْرِمَةَ بنَ عَمْرِو بنِ هِشَامٍ. وَسَارَ هَذَا الحَشْدُ نَحْوَ المَدِينَةِ وَعِنْدَ سُفُوحِ جَبَلِ أُحُدٍ الجَنُوبِيَّةِ التَقَوْا مَعَ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَزِدْ عَدَدُهُمْ عَلَى سَبْعِمِائَةِ مُقَاتِلٍ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ سِوَى فَرَسَيْنِ، إِحْدَاهُمَا لِلزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ، وَالأُخْرَى لِلْمِقْدَادِ بنِ عَمْرٍو، وَاحْتَدَمَتِ المَعْرَكَةُ وَفَرَّتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ المائَتَانِ أَمَامَ فَرَسَيْ المُسْلِمِينَ إِذِ الإِيمانُ أَقْوَى مِنَ الرِّجَالِ، وَمِنَ الأَعْدَادِ، وَمِنَ الشُّجْعَانِ، كَمَا فَرَّ رِجَالُ قُرَيْشٍ، وَظَنَّ المُسْلِمُونَ أَنَّ المَعْرَكَةَ قَدِ انْتَهَتْ فَنَزَلَ أَكْثَرُ الرُّمَاةِ عَنِ الجَبَلِ مُخَالِفِينَ أَوَامِرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمَحَ

(١) سورة المدثر: الآيات ٢٦ ـ ٣٠.

خَالِدٌ تَغَيُّرَ المَوَاقِعِ فَالْتَفَّ خَلْفَ الجَبَلِ وَصَعِدَهُ فَقَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بنَ جُبَيْرٍ أَمِيرَ الرُّمَاةِ وَمَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْهُمْ، وَجاءَ عَلَى المُسْلِمِينَ مِنَ الخَلْفِ، وَشَعَرَ الفَارُّونَ مِنْ قُرَيْشٍ فَتَنَادَوْا وَلَمُّوا شَمْلَهُمْ، وَغَيَّرُوا وِجْهَتَهُمْ، وَوَاجَهُوا المُسْلِمِينَ الَّذِينَ وَقَعُوا بَيْنَ نَارَيْنِ، فَدَارَتْ عَلَيْهِمُ الدَّائِرَةُ، وَكَانَتْ قَاسِيَةً عَلَيْهِمْ لِمَا نَالَهُمْ وَلِمَا أَصَابَ رَسُولَهُمْ، وَبِذَا يَكُونُ لِخَالِدٍ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِيمَا حَلَّ بِالمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ.

فِي الحُدَيْبِيَّةِ:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي شَهْرِ ذِي القِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ المَدِينَةِ مُتَّجِهاً نَحْوَ مَكَّةَ يُرِيدُ العُمْرَةَ، وَلاَ يُرِيدُ حَرْبَاً، وَوَصَلَ نَبَأُ خُرُوجِهِ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخَذَتْهَا العِزَّةُ بِالإِثْمِ، وَصَعُبَ عَلَيْهَا أَنْ تَرَى المُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ، وَعَزَّ عَلَيْهَا أَنْ يَرَى أَبْنَاؤُهَا قُوَّةَ المُسْلِمِينَ، وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالبَيْتِ، لِذَا فَقَدْ أَرْسَلَتْ خَالِداً عَلَى رَأْسِ فِرْقَةٍ مِنَ الفُرْسَانِ لِيَقْطَعَ الطَّرِيقَ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَيَحُولَ دُونَ وُصُولِهِمْ إِلَى مَكَّةَ، وَنَزَلَ فِي (كُرَاعِ الغَمِيمِ)، وَبَلَغَ الخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَغَيَّرَ الطَّرِيقَ، وَوَصَلَ إِلَى الحُدَيْبِيَّةِ، وَجَاءَتْ قُرَيْشٌ، وَحَالَتْ دَونَ وُصُولِهِ إِلَى البَيْتِ،

وَتَمَّتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ، ثُمَّ جَرَى الصُّلْحُ، وَمِمِا يَقْضِي أَنْ يَعُودَ المُسْلِمُونَ فِي هَذَا العَامِ مِنْ غَيْرِ زِيَارَةٍ، وَأَنْ يَأْتُوا لِتَأْدِيَةِ الزِّيَارَةِ فِي العَامِ المُقْبِلِ.

فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ:

رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالمُسْلِمُونَ إِلَى المَدِينَةِ. وَاسْتَدَارَ العَامُ، وَسَارَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ صَحْبِهِ إِلَى مَكَّةَ لِتَأْدِيَةِ عُمْرَةِ القَضَاءِ، وَدَخَلَ المُسْلِمُونَ وَأَدُّوا المَنَاسِكَ، وَعَادُوا، غَيْرَ أَنَّ خَالِداً خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ أَثْنَاءَ وُجُودِ المُسْلِمِينَ فِيهَا، إِذْ صَعُبَ عَلَيْهِ أَنْ يَرَاهُمْ فِيْهَا.

إِسْلَامُ خَالِدٍ

تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ خَالَةَ خَالِدٍ، مَيْمُونَةَ بِنْتَ الحَارِثِ، فَبَدَأَ خَالِدُ يُفَكِّرُ فِي الأَمْرِ. فَقَدْ مَضَى عَشْرُ سَنَوَاتٍ أَوْ أَكْثَرُ عَلَى مَوْتِ أَبِيهِ فَخَفَّتِ الحَمِيَّةُ الجَاهِلِيَّةُ، كَمَا مَضَى سِتُّ سَنَوَاتٍ عَلَى مَوْتِ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي جَهْلٍ فَأَصْبَحَ فِي حُكْمِ النِّسْيَانِ، وَإِنَّ بَيْتَ خَالَتِهِ

لُبَابَةَ أُمِّ الفَضْلِ زَوْجِ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بَيْتُ إِسْلاَمٍ ، وَهَاهِيَ خَالَتُهُ الثَّانِيَةُ تَزَوَّجَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا أَسْلَمَ أَخُوهُ الوَلِيدُ، وَلَكِنَّهُ عُذِّبَ، وَالعُظَمَاءُ لاَ يُبَالُونَ بِالمِحَنِ إِذَا آمَنُوا بِمَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَمِنْ قَبْلُ أَسْلَمَ ابْنُ عَمِّهِ عَيَّاشُ بنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهَاجَرَ ثُمَّ رَدَّهُ ابْنَا عَمِّهِ أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بنُ هِشَامٍ ، وَالحَارِثُ بنُ هِشَامٍ ، وَهُمَا أَخَوَاهُ لأُمِّهِ. أَمْرُ الإِسْلاَمِ يَقْوَى وَيَزْدَادُ، الوَثَنِيَّةُ تَتَدَاعَى وَتَضْعُفُ، وَالأَصْنَامُ تَدْرِيجِيّاً تَتَهَاوَى، الحَقُّ وَاضِحٌ، وَالأَمْرُ بَيِّنٌ وَلاَ يَحْتَاجُ إِلاَّ إِلَى شَيْءٍ مِنَ التَّفْكِيرِ وَإِعْمَالِ العَقْلِ .

وَلَكِنَّ الَّذِي أَثَّرَ فِي نَفْسِيَّةِ خَالِدٍ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ مَا نَقَلَهُ لَهُ أَخُوهُ الوَلِيدُ، فَإِنَّ خَالِداً قَدْ غَابَ عَنْ مَكَّةَ أَثْنَاءَ وُجُودِ المُسْلِمِينَ فِيْهَا، فَالْتَقَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالوَلِيدِ بنِ الوَلِيدِ أَخِي خَالِدٍ، وَكَانَ مُسْلِماً حَبَسَهُ أَخْوَالُهُ فَأُفْلِتَ مِنْ سِجْنِهِ أَثْنَاءَ العُمْرَةِ وَالْتَحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: لَوْ أَتَانَا خَالِدٌ لأَكْرَمْنَاهُ وَمَا مِثْلُهُ سَقَطَ عَلَيْهِ الإِسْلاَمُ فِي عَقْلِهِ. فَكَتَبَ الوَلِيدُ بِذَلِكَ إِلَى خَالِدٍ، فَتَغَيَّرَتْ نَفْسِيَّتُهُ، وَلاَنَ قَلْبُهُ وَمَالَ إِلَى الإِسْلاَمِ ، ثُمَّ صَمَّمَ عَلَى ذَلِكَ وَقَرَّرَ الهِجْرَةَ، وَاتَّفَقَ مَعَ عُثْمَانَ بنِ طَلْحَةَ بنِ أَبِي طَلْحَةَ عَلَى ذَلِكَ، وَانْطَلَقَا،

فَالْتَقَيا فِي الطَّرِيقِ مَعَ عَمْرِو بنِ العَاصِ، قَادِماً مِنَ الحَبَشَةِ، فقَالَ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ؟ فَأَجَابَ خَالِدُ: وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَقَامَ المَنْسِمُ[1]، وإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، أَذْهَبُ وَاللَّهِ فَأُسْلِمُ، فَحَتَّى مَتَى! قَالَ عَمْرُو بنُ العَاصِ: وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إلاَّ لأُسْلِمَ. وَانْطَلَقَ ثَلاَثَتُهُمْ إِلَى المَدِينَةِ فَقَدِمُوهَا عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَقَدَّمَ خَالِدُ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَبَايَعَ صَاحِبَاهُ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ العَامِ الثَّامِنِ لِلْهِجْرَةِ.

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَقَامَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ فِي المَدِينَةِ مُهَاجِراً إِلَيْهَا، يَسْمَعُ مَا يَنْزِلُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَيَرَى مَا يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يَقُولُ. وَلَمْ يَزِدْ كَثِيراً عَلَى الشَّهْرَيْنِ عَلَى إِسْلاَمِ خَالِدٍ حَتَّى انْطَلَقَ المُسْلِمُونَ إِلَى مُؤْتَةَ لِلْغَزْوِ بِإِمْرَةِ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ. انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ آلاَفٍ مِنَ المُسْلِمِينَ فِي شَهْرِ جُمَادَى الأُولَى. فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مَعَانَ عَلِمُوا أَنَّ الرُّومَ قَدْ حَشَدُوا مِائَةَ أَلْفٍ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ مَائَةُ أَلْفٍ آخَرُونَ مِنَ العَرَبِ

(١) أي تبين الطريق ووضح، وأصل المنسم: خف البعير.

المُتَنصِّرَةِ، فَهَابَ المُسْلِمُونَ عَدُوَّهُمْ، ثَلاَثَةُ آلاَفٍ يُقَابِلُونَ مِائَتَي أَلْفٍ، فَأَخَذُوا يُفَكِّرُونَ فِي أَمْرِهِمْ فَشَجَّعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ فَقَالَ: يَا قَوْمُ، وَاللَّهِ إنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلاَ قُوَّةٍ وَلاَ كَثْرَةٍ، مَا نُقَابِلُهُمْ إلاَّ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِيْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ: إمَّا ظُهُور وَإِمَّا شَهَادَةٌ. فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ وَاللَّهِ صَدَقَ ابنُ رَوَاحَةَ، فَمَضَى النَّاسُ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، وَبِرِعَايَتِهِ.

فِي مُؤْتَه:

وَشَارَكَ خَالِدُ فِي هَذِهِ الغَزْوَة، وَوَصَلَ النَّاسُ إلَى مُؤْتَه وَنَظَّمُوا صُفُوفَهُمْ، والْتَقَوْا بالأَعْدَاءِ، فَقَاتَلَ زَيْدٌ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَتَنَاوَلَ الرَّايَةَ مِنْهُ جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ. ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ ثَابِتُ بنُ أَقْرَمَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ اصْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ، قَالُوا: أَنْتَ، قَالَ: مَا أَنا بِفَاعِلٍ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، فَلَمَّا أَخَذَ الرَّايَةَ دَافَعَ القَوْمَ، وَانْحَازَ بِهِمْ وَانْحَازَ عَنِ الأَعْدَاءِ حَتَّى انْصَرَفَ بِالنَّاسِ.

لَمْ يَكُنِ الانْصِرَافُ بِالنَّاسِ والانْسِحَابُ مِنَ المَيْدَانِ بِالأَمْرِ السَّهْلِ ، إذْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ انْسِحَاباً مُنَظَّماً ، فَالجَيْشُ مُبَعْثَرٌ، وَالمَعْنَوِيَّاتُ غَيْرُ جَيِّدَةٍ، كَمَا يَخْشَى مِنْ مُلاَحَقَةِ الرُّومِ لَهُ وَإبَادَتَهُ وَهُوَ بِهَذِهِ الحَالَةِ، وَهَذِهِ الكَثْرَةُ مِنَ الرُّومِ تَسْتَطِيعُ ابْتِلاَعَ هَذِهِ الفِئَةِ القَلِيلَةِ مِنَ المُسْلِمِينَ، لِذَا كَانَتِ المُهِمَّةُ المُلْقَاةُ عَلَى عَاتِقِ خَالِدٍ صَعْبَةً. وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ خِطَّةٍ سِوَى الانْسِحَابِ، إذْ لاَ يُمْكِنُ مُوَاصَلَةُ القِتَالِ. وعِنْدَمَا جَنَّ اللَّيْلُ وَتَوَقَّفَ القِتَالُ. جَمَعَ خَالِدٌ شَمْلَ الجَيْشِ ، وَغَيَّرَ القِيَادَاتِ ، وَبَدَّلَ مَوَاقِعَ القُطْعَاتِ ، فَأَصْبَحَتِ المَيْمَنَةُ مَكَانَ المَيْسَرَةِ ، وَالمَيْسَرَةُ فِي مَوْضِعِ المَيْمَنَةِ، وَقَدَّمَ السَّاقَةَ، وَأَخَّرَ المُقَدِّمَةَ لِيُوهِمَ العَدُوَّ أَنَّ دَعْماً قَدْ جَاءَ إلَى المُسْلِمِينَ فِي اللَّيْلِ . ثُمَّ أَمَرَ بَعْضَ الفُرْسَانِ أَنْ تَنْطَلِقَ مَسَافَةً إِلَى الجَنُوبِ مَعَ مَجْمُوعَاتٍ فَإِذَا مَا بَدَأَتِ المَعْرَكَةُ فِي الصَّبَاحِ جَاءَتْ هَذِهِ المَجْمُوعَاتُ مُتَتَالِيَةً بَعْضُهَا وَرَاءَ بَعْضٍ مُثِيرَةً الغُبَارَ، وَتَنْخَرِطَ فِي القِتَالِ مُبَاشَرَةً .

وَأَصْبَحَ الصَّبَاحُ وَاصْطَفَّ المُقَاتِلُونَ لِلنِّزَالِ، وَرَأَى الرُّومُ أَمَامَهُمْ وُجُوهاً جَدِيدَةً، فَتَوَقَّعُوا وُصُولَ مَدَدٍ إِلَى المُسْلِمِينَ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى المَيْدَانِ حَدِيثاً لاَ يَزَالُونَ فِي

رَاحَةٍ كَمَا أَنَّ مَعْنَوِيَّاتِ المُسْلِمِينَ قَدِ ارْتَفَعَتْ بِوُصُولِ المَدَدِ. وَمَا أَنْ بَدَأَ الصِّرَاعُ حَتَّى بَدَأَتْ تَصِلُ مَجْمُوعَاتُ الفُرْسَانِ مُثِيرَةً الغُبَارَ فَأَيْقَنَ الرُّومُ بِمَجِيءِ المَدَدِ الكَبِيرِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَغَطَّى الغُبَارُ جَوَّ المَعْرَكَةِ، وَقَلَّتِ الرُّؤْيَةُ، فَضَعُفَتْ مَعْنَوِيَّاتُ الأَعْدَاءِ وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ حَمْلَةً صَادِقَةً كَبَّدَتْهُمْ خَسَائِرَ جَسِيمَةً لَمْ يَعْرِفُوا بَعْدُ مِثْلَهَا. وَأَمَامَ انْهِيَارِ مَعْنَوِيَّاتِ الرُّومِ، وَخَسَائِرِهِمُ الكَبِيرَةِ، وَيَقِينِهِمْ بِكَثْرَةِ المُسَاعَدَاتِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَى المُسْلِمِينَ انْسَحَبَ خَالِدٌ بِالجَيْشِ، وَخَافَ الرُّومُ مِنْ تَعَقُّبِ المُسْلِمِينَ إِذْ لَمْ يَتَوَقَّعُوا إِلاَّ أَنَّهَا خِطَّةٌ لاسْتِدْرَاجِهِمْ، فَمَكَثُوا فِي مَكَانِهِمْ حَذِرِينَ، يُضَمِّدُونَ جِرَاحَهُمْ، وَيَنْتَظِرُونَ هُجُوماً مُفَاجِئاً بَيْنَ الحِينِ وَالآخَرِ، وَانْطَلَقَ خَالِدُ بِالمُسْلِمِينَ نَحْوَ المَدِينَةِ.

وَنَعَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زَيْداً وَجَعْفَراً وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الخَبَرُ، فَقَالَ: أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ وَعَيْنَاهُ تَذْرُفَانِ، حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ - يَعْنِي خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ - حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

عَنْ قَيْسٍ، سَمِعْتُ خَالِداً يَقُولُ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ مُؤْتَةَ انْدَقَّ

فِي يَدِي تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَصَبَرتْ فِي يَدِي صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ[1].

فِي فَتْحِ مَكَّةَ:

وَصَلَ خَالِدٌ بِالجَيْشِ الإِسْلاَمِيِّ إِلَى المَدِينَةِ رَاجِعَاً مِنْ مُؤْتَةَ، فَمَكَثُوا مَا يَزِيدُ عَلَى الشَّهْرَينِ قَلِيلاً وَإِذْ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَحَرَّكُ نَحْوَ مَكَّةَ لِفَتْحِهَا، وَوَصَلَ المُسْلِمُونَ إِلَى ذِي طَوَىً فَقَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعْطَى القِيَادَاتِ، فَكَانَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ عَلَى المَيْمَنَةِ، وَقَدْ أَمَرَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ مِنَ الجَنُوبِ (مَحَلَّةِ المَسْفَلَةِ) اليَوْمَ والتي كَانَتْ تُسَمَّى (اللِّيطَ)، وَأَمَرَ الزُّبَيْرَ بنَ العَوَّامِ أَنْ يَدْخُلَهَا مِنَ الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ (كُدَىً)، وَأَمَرَ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ أَنْ يَدْخُلَ مِنَ الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، عَلَى حِينَ دَخَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الشَّمَالِ الغَرْبِيِّ. وَدَخَلَ المُسْلِمُونَ مَكَّةَ، وَكَانَ التَّوَاضُعُ لِلَّهِ، وَكَانَ الحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَمْ يَحْدُثْ قِتَال إِلاَّ فِي نَاحِيَةٍ وَاحِدَةٍ إِذْ تَجَمَّعَ عَدَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَقُودُهُمْ عِكْرِمَةُ بنُ هِشَامِ بنِ عَمْرٍو، وَصَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو العَامِرِيُّ، وَدَعَمَتْهُمْ بَنُو بَكْرٍ، وَهُذَيْلٌ، إذ صَعُبَ

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي (٤٢٦٥) و (٤٢٦٦).

عليهم ـ كما يزعمون ـ ان يروا المسلِمين يقتحِمون البيت الحَرَامَ، فَتجمَّعُوا فِي مَنْطِقَةِ الخَنْدِمَةَ، وَعِنْدَمَا انْطَلَقَ خالِد لِيَسِيرَ إِلَى جِهَةِ الجَنُوبِ وَقَفُوا فِي وَجْهِهِ، وَحَاوَلُوا مَنْعَهُ مِنَ التَقَدُّمِ، وَقَدِ اتَّخَذُوا مَوْقِعاً حَصِيناً لَهُمْ، فَأَنْذَرَهُمْ فَبادَؤُوهُ بالنَّبْلِ، ثُمَّ تَقَدَّمُوا إِلَيْهِ مُقَاتِلِينَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَنْذَرَهُمْ، فَأَبَوْا إلاَّ الصُّمُودَ وَالحَرْبَ، فَهَجَمَ عَلَيْهِم فَفَرَّق شَمْلَهُمْ فَفَرُّوا بَعْدَ أَنْ تَركُوا وَرَاءَهُمْ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ قَتِيلاً، وَفَرَّ صَفْوَانُ، وَفَرَّ عِكْرِمَةُ، وَهَرَبَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، وَاتَّخَذَ كُلٌّ لِنَفْسِهِ طَرِيقاً لِلْهَرَبِ.

وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الخَبَرُ سَأَلَ خَالِداً عَمَّا حَدَثَ، وَقَدْ نَهَى عَنِ القِتَالِ، فَأَخْبَرَه بِمَا كَانَ فَسَكَتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «قَضَى اللَّهُ خَيْراً».

فِي بَنِي جُذَيْمَةَ:

بَعْدَ أَنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ وَحَطَّمَ الأَصْنَامَ فِيهَا، وَأَمَّنَ النَّاسَ، أَرْسَلَ السَّرَايَا إِلَى الجِهَاتِ الَّتِي حَوْلَ مَكَّةَ، تَنْشُرُ الإِسْلاَمَ، وَتَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَكَانَ خَالِدُ مِمَّنْ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى أَسْفَلِ تِهَامَةَ إِلَى بَنِي جُذَيْمَةَ مِنْ كِنَانَةَ، وَنَهَاهُ عَنِ القِتَالِ.

سَارَ خَالِدُ وَوَصَلَ إِلَى دِيَارِ بَنِي جُذَيْمَةَ فَلَمَّا رَآهُ القَوْمُ اسْتَعَدُّوا، وَحَمَلُوا السِّلاَحَ، فَقَالَ لَهُمْ خَالِدُ: ضَعُوا السِّلاَحَ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا. فَوَضَعُوا السِّلاَحَ، غَيْرَ أَنَّ خَالِداً قَدْ قَتَلَ مِنْهُمْ مَنْ تَرَدَّدَ، وَوَصَلَ الخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ»، وَأَرْسَلَ فِي أَثَرِهِ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَعْطَى الدِّيَّاتِ، وَأَعَادَ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ، بَلْ دَفَعَ لَهُمْ مَا بَقِيَ مِنَ المَالِ الَّذِي أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَزَادَ عَنِ الدِّيَّاتِ. وَعَدَّ تَصَرُّفَ خَالِدٍ اجْتِهَاداً مِنْهُ، وَلَمْ يُحَاسِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ عَدَّهُ مُخَالِفاً وَقَاتِلاً لَحَمَّلَهُ دِيَّاتِ القَوْمِ. وَلَكِنْ غَضِبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ مِنْ تَصَرُّفِ خَالِدٍ وَجَرَى بَيْنَهُمْ كَلاَمٌ.

هَدْمُ العُزَّى:

كَانَ صَنَمُ العُزَّى فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ (نَخْلَةَ) بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفَ، وَكَانَ بَيْتاً تُعَظِّمُهُ قُرَيْشٌ، وَكِنَانَةُ، وَمُضَرُ كُلُّهَا، وَكَانَ سَدَنَتُهَا مِنْ آلِ شَيْبَانَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ حُلَفَاءِ بَنِي هَاشِمٍ.

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَالِداً لِهَدْمِهَا،

فَسارَ إلَيْها فَهدَّمَها، ثُمَّ رجعَ إلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَشَهِدَ خَالِدٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حُنَيناً وَالطَّائِفَ، وَرَجَعَ مَعَهُ إلَى المَدِينَةِ. وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَزْهرٍ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ حُنَيْنٍ يَتَخَلَّلُ النَّاسَ، يَسْأَلُ عَنْ رَحْلِ خَالِدٍ، فَدُلَّ عَلَيْهِ، فَنَظَرَ إلَى جُرْحِهِ، وَحَسِبْتَ أَنَّهُ نَفَثَ فِيْهِ.

فِي تَبُوكَ:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، إلَى تَبُوكَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ. فَلَمَّا وَصلَ إلَيْها جَاءَهُ صَاحِبُ أَيْلَةَ (العَقَبَةِ)، وَصَالَحَ وَأَعْطَى الجِزْيَةَ، وَأَتَى أَهْلُ (جَرْبَاءَ) وَ (أَذْرُحَ) فَصَالَحُوا وَأَعْطَوْا الجِزْيَةَ.

ثُمَّ أَرْسَلَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ إلَى دَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَعَلَيْهَا (أُكَيْدِرُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ) وَكَانَ مَلِكاً عَلَيْها، وَهُوَ مِنْ كِنْدَةَ، وَمُعْظَمُ أَهْلِهَا مِنْ قَبَائِلِ كَلْبٍ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَالِداً وَبَعَثَ مَعَهُ أَرْبَعَمِائَةٍ وَعِشْرِينَ فَارِساً، وَتَسَاءَلَ خَالِدٌ: هَلْ يَسْتَطِيعُ بِهَذِهِ القُوَّةِ القَلِيلَةِ أَنْ يُخْضِعَ تِلْكَ المَمْلَكَةِ المُحَصَّنَةِ؟ فَطَمْأَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ، وَقَالَ لَهُ : «إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ البَقَرَ» فَخَـرَجَ خَالِـدٌ ، حَتَّـى إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِـهِ بِمَنْظَـرِ العَيْنِ ، وَفِـي لَيْلَـةٍ مُقْمِـرَةٍ صَائِفَةٍ ، وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ ، فَبَاتَتِ البَقَرُ تَحُكُّ بِقُرُونِهَا بَابَ القَصرِ . فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ؟ قَالَ : لاَ ، وَاللَّهِ! قَالَتْ : فَمَنْ يَتْرُكُ هَذِهِ؟ قَالَ : لاَ أَحَدُ . فَنزَلَ فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ لَهُ ، وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فِيهِمْ أَخٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ حَسَّانُ . فَرَكِبَ ، وَخَرَجُوا مَعَهُ بِمَطَارِدِهِمْ . فَلَمَّا خَرَجُوا تَلَقَّتْهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّـهِ ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ ، فَأَخَذَتْهُ ، وَقَتَلُوا أَخَاهُ . وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيبَاجٍ مُخَوَّص بِالذَّهَبِ ، فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَبْلَ قُدُومِهِ بِهِ عَلَيْهِ .

ثُمَّ إِنَّ خَالِداً قَدِمَ بِأُكَيْدِرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَقَنَ لَهُ دَمَـهُ ، وَصَالَحَـهُ عَلَـى الجِـزْيَةِ ، ثُمَّ خَلَّـى سَبِيلَهُ ، فَرَجَعَ إِلَى قَرْيَتِهِ[1] .

فِي نَجْرَانَ :

أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِتَبُوكَ بِضْعَ عَشْرَةَ

---

(١) سيرة ابن هشام.

لَيْلَةً، لَمْ يُجَاوِزْهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ قَافِلاً إِلَى المَدِينَةِ، وَخَالِدُ مَعَهُ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ المَدِينَةِ فِي شَهْرِ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ عَشْرٍ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ إِلَى بَنِي الحَارِثِ بنِ كَعْبٍ بِنَجْرَانَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ قَبْلَ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ ثَلاَثاً، فَإِنِ اسْتَجَابُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَقَاتِلْهُمْ. فَخَرَجَ خَالِدُ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَبَعَثَ الرُّكْبَانَ يَضْرِبُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَيَدْعُونَ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَيَقُولُونَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا. فَأَسْلَمَ النَّاسُ، وَدَخَلُوا فِيمَا دُعُوا إِلَيْهِ. فَأَقَامَ فِيهِمْ خَالِدُ يُعَلِّمُهُمُ الإِسْلاَمَ وَكِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِذَلِكَ كَانَ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنْ هُمْ أَسْلَمُوا وَلَمْ يُقَاتِلُوا.

ثُمَّ كَتَبَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: لِمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ بَعَثْتَنِي إِلَى بَنِي الحَارِثِ بنِ كَعْبٍ، وَأَمَرْتَنِي

إِذَا أَتَيْتُهُمْ أَلاَّ أُقَاتِلُهُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَنْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسلامِ ، فَإِنْ أَسلَمُوا أَقَمْتُ فِيهِمْ، وَقَبِلْتُ مِنْهُمْ، وَعَلَّمتُهُمْ مَعَالِمَ الإِسْلاَمِ وَكِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا قَاتَلْتُهُمْ، وَإِنِّي قَدِمْتُ عَلَيْهِمِ فَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ، كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَعَثْتُ فِيْهِمْ رُكْبَانَاً قَالُوا: يَا بَنِي الحَارِثِ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، فَأَسْلَمُوا وَلَمْ يُقَاتِلُوا، وَأَنا مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، آمُرُهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَأَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ، وَأُعَلِّمُهُمْ مَعَالِمَ الإِسْلاَمِ ، وَسُنَّةَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى يَكْتُبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ. سَلاَمٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ. أَمَّا بَعْدُ. فَإِنَّ كِتَابَكَ جَاءَنِي مَعَ رَسُولِكِ تُخْبِرُ أَنَّ بَنِي الحَارِثِ بنِ كَعْبٍ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ تُقَاتِلَهُمْ، وَأَجَابُوا إِلَى مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الإِسْلاَمِ ، وَشَهِدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ قَدْ هَدَاهُمُ اللَّهُ

بِهُدَاهُ، فَبَشِّرْهُمْ وَأَنْذِرْهُمْ، وَأَقْبِلْ وَلْيُقْبِلْ مَعَكَ وَفْدُهُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ[1].

فَأَقْبَلَ خَالِدٌ وَأَقْبَلَ مَعَهُ وَفْدُ بَنِي الحَارِثِ بنِ كَعْبٍ، وَالْتَقَوْا بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَهُمْ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ قَيْسَ بنَ الحُصَيْنِ، ثُمَّ رَجَعُوا، فَبَعَثَ فِي أَثَرِهِمْ عَمْرو بنَ حَزْمٍ لِيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وَيَأْخُذَ مِنْهُمُ الصَّدَقَاتِ.

وَشَهِدَ خَالِدٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَجَّةَ الوَدَاعِ.

دَخَلَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ عَلَى خَالَتِهِ مَيْمُونَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهَا ضَبّاً مَحْنُوذاً قَدِمَتْ بِهِ أُخْتُهَا حُفَيْدَةُ بِنْتُ الحَارِثِ مِنْ نَجْدٍ، فَقَدَّمَتْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَفَعَ يَدَهُ، فَقَالَ خَالِدٌ: أَحَرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لاَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ»[2]. فَاجْتَرَرَهُ خَالِدٌ، فَأَكَلَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْظُرُ وَلَمْ يَنْهَهُ.

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي، وأحمد، ومالك.

وَعَنْ عَمْرِو بنِ العَاصِ قَالَ: مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِخَالِدٍ أَحَداً فِي حَرْبِهِ مُنْذُ أَسْلَمْنَا[1].

وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

لَهُ حَدِيثَانِ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَفِي مُسْنَدِ بَقِيِّ بنِ مَخْلَدٍ، وَاحِدٌ وَسَبْعُونَ حَدِيثاً.

مَعَ الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَوَلَّى أَمْرَ المُسْلِمِينَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَارْتَدَّت العَرَبُ، وَامْتَنَعَ بَعْضُهَا عَنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ، وَعَدَّهَا ضَرِيبَةً كَانَ يَأْخُذُهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ بَعْثَ أُسَامَةَ الَّذِي كَانَ قَدْ جَهَّزَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَنْفِيذَاً لِمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ عَزَمَ عَلَى تَنْفِيذاً، وَإِظْهَاراً لِلْمُرْتَدِّينَ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ أَنَّ الدَّوْلَةَ الإِسْلاَمِيَّةَ قَوِيَّةٌ فَهَا هِيَ

(١) رواه الطبراني في الأوسط والكبير. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٥٠.

تُرْسِلُ بَعْثَ أُسَامَةَ رَغْمَ أَنَّ المَخَاطِرَ تُحْدِقُ بِالمَدِينَةِ، وَتَحُفُّ بِالمُجْتَمَعِ ، وَتُحِيطُ بِالدَّوْلَةِ، فَالغَارَاتُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى المَدِينَةِ غَيْرَ أَنَّ الصِّدِّيقَ قَدْ رَدَّهَا، وَانْتَصَرَ عَلَى القَبَائِلِ ، وَرَجَعَ بَعْثُ أُسَامَةَ، فَخَلَّفَ الصِّدِّيقُ أُسَامَةَ عَلَى المَدِينَةِ وَسَارَ إِلَى ذِي القَصَّةِ، وَلَمَّا اسْتَرَاحَ رِجَالُ أُسَامَةَ عَقَدَ الصِّدِّيقُ أَحَدَ عَشَرَ لِوَاءً لِقِتَالِ المُرْتَدِّينَ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ، وَكَانَ مِمَّنْ عَقَدَ لَهُمْ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ. وَقَدْ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ لَمَّا عَقَدَ لِخَالِدِ بنِ الوَلِيدِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو العَشِيرَةِ ـ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ ـ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ».

قِتَالُ المُرْتَدِّينَ:

وَلَمَّا فَارَقَ الصِّدِّيقُ خَالِداً وَاعَدَهُ أَنَّهُ سَيَلْقَاهُ فِي نَاحِيَةِ خَيْبَرَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الأُمَرَاءِ، وَأَظْهَرُوا ذَلِكَ لِيُرْعِبُوا الأَعْرَابَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ أَوْلاً إِلَى طُلَيْحَةَ الأَسَدِيِّ ثُمَّ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ . وَبَعَثَ الصِّدِّيقُ عَدِيَّ بنَ حَاتِمٍ الطَّائِيَّ إِلَى قَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِقُوا بِطُلَيْحَةَ.

١ ـ بَنُو طَيِّءٍ:

مَالَ خَالِدٌ إِلَى بَنِي طَيِّءٍ، فَطَلَبَ مِنْهُ عَدِيٌّ أَنْ يُمْهِلَهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَأَمْهَلَهُ رَيْثَما يَعُودُ الَّذِينَ التَحقُوا بِطُلَيْحَةَ، وَبَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ جَاءَ عَدِيٌّ مَعَ خَمْسِمِائَةِ مُقَاتِلٍ، وَانْضَمُّوا إِلَى خَالِدٍ.

٢ ـ بَنُو جُدَيْلَةَ:

وَسَارَ خَالِدٌ إِلَى بَنِي جُدَيْلَةَ وَسَبَقَهُ عَدِيٌّ إِلَيْهِمْ فَأَقْنَعَهُمْ فَجَاءَ إِلَى خَالِدٍ مِنْهُمْ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَسَارَ خَالِدٌ حَتَّى نَزَلَ بِأَجَأْ وَسَلْمَى، فَعَبَّأَ جَيْشَهُ هُنَاكَ، وَهَبَطَ نَحْوَ دِيَارِ بَنِي أَسَدٍ.

٣ ـ طُلَيْحَةُ الأَسَدِيُّ:

وَالتَقَى مَعَ طُلَيْحَةَ الأَسَدِيِّ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ (بُزَاخَةَ). وَكَانَ طُلَيْحَةُ وَأَخُوهُ سَلَمَةُ قَدْ قَتَلاَ طَلِيعَةَ جَيْشِ خَالِدٍ وَفِيْهَا: عُكَاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ وَثَابِتُ بنُ أَقْرَم. وَعِنْدَمَا التقى خَالِدٌ بِجَيْشِ طُلَيْحَةَ فَرَّ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ بنِ بَدْرٍ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ، وَهَرَبَ النَّاسُ عَنْ طُلَيْحَةَ، ثُمَّ إِنَّ طُلَيْحَةَ قَدِ امْتَطَى جَوَادَهُ، وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ النُّوارَ عَلَى بَعِيرٍ، وَهَرَبَا إِلَى الشَّامِ. وَأَسَرَ خَالِدٌ عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ، وَقُرَّةَ بنَ هُبَيْرَةَ أَحَدَ القَادَةِ مَعَ طُلَيْحَةَ وَأَرْسَلَهُمَا إِلَى المَدِينَةِ، فَاسْتَتَابَهُمَا الصِّدِّيقُ، وَحَقَنَ

دِمَاءَهُمَا فَرَجَعَا إِلَى الإِسْلاَمِ . وَقَدْ كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، حِيْنَ جَاءَهُ أَنَّهُ كَسَرَ طُلَيْحَةَ وَمَنْ كَانَ فِي صَفِّهِ وَقَامَ بِنَصْرِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: لِيَزِدْكَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ خَيْرَاً، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي أَمْرِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ. جِدَّ فِي أَمْرِكَ وَلاَ تَلِنْ، وَلاَ تَظْفَرْ بِأَحَدٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتَلَ مِنَ المُسْلِمِينَ إلاَّ نَكَّلْتَ بِهِ، وَمَنْ أَخَذْتَ مِمَّنْ حَادَّ اللَّهَ أَوْضَادَّهُ مِمَّنَ يَرَى أَنَّ فِي ذَلِكَ صَلاَحَاً فَاقْتُلْهُ[1] .
فَأَقَامَ خَالِدُ بِـ (بُزَاخَةَ) شَهْرَاً، يَصْعَدُ فِيهَا وَيُصَوِّبُ، وَيَرْجِعُ إِلَيْهَا فِي طَلَبِ الَّذِينَ وَصَّاهُ بِسَبَبِهِمُ الصِّدِّيقُ، فَجَعَلَ يَتَرَدَّدُ فِي طَلَبِ هَؤُلاَءِ شَهْرَاً، يَأْخُذُ بِثَأْرِ مَنْ قَتَلُوا مِنَ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ حِينَ ارْتَدُّوا، فَمِنْهُمْ مَنْ حَرَّقَهُ بِالنَّارِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَضَخَهُ بِالحِجَارَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَمَى بِهِ مِنْ شَوَاهِقِ الجِبَالِ، كُلُّ هَذَا لِيَعْتَبِرَ بِهِمْ مَنْ يَسْمَعُ بِخَبَرِهِمْ مِنْ مُرْتَدَّةِ العَرَبِ[1] . وَقَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ قَيْسِ بنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بنِ شِهَابٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ وَفْدُ بُزَاخَةَ ـ أَسَدٍ وَغَطَفَانَ ـ عَلَى أَبِي بَكْرٍ يَسْأَلُونَهُ الصُّلْحَ، خَيَّرَهُمْ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ أَوْ خِطَّةٍ مُخْزِيَةٍ، فَقَالُوا: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، أَمَّا الحَرْبُ

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير.

المُجْلِيَةُ فَقَدْ عَرَفْنَاهَا، فَمَا الخِطَّةُ المُخْزِيَةُ؟ قَالَ: تُؤْخَذُ مِنْكُمُ الحَلْقَةَ والكِرَاعَ، وَتُتْرَكُونَ أَقْوَاماً يَتْبَعُونَ أَذْنَابَ الإِبِلِ حَتَّى يُرِيَ اللَّهُ خَلِيفَةَ نَبِيِّهِ وَالمُؤْمِنِينَ أَمْراً يُعْذِرُونَكُمْ بِهِ، وَتُؤَدُّونَ مَا أَصَبْتُمْ مِنَّا، وَلاَ نُؤَدِّي مَا أَصَبْنَا مِنْكُمْ، وَتَشْهَدُونَ أَنَّ قَتْلاَنَا فِي الجَنَّةِ وَأَنَّ قَتْلاَكُمْ فِي النَّارِ، وتَدُونَ قَتْلاَنَا وَلاَ نَدِي قَتْلاَكُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: أَمَّا قَوْلُكَ: تَدُونَ قَتْلاَنَا، فَإِنَّ قَتْلاَنَا قُتِلُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ وَلاَ دِيَّاتَ لَهُمْ، وَقَالَ عُمَرُ فِي الثَّانِي: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ[1].

٤ - أُمُّ زِمْلٍ:

تَجَمَّعَ حَشْدٌ مِنَ الَّذِينَ فَرُّوا يَوْمَ (بُزَاخَةَ) مِنْ قَبِيلَةِ غَطَفَانَ حَوْلَ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ زِمْلٍ، وَهِيَ سَلْمَى بِنْتُ مَلَكِ بنِ حُذَيْفَةَ، وَحَرَّضَتْهُمْ عَلَى قِتَالِ خَالِدٍ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ أَعْدَادٌ مِنْ قَبَائِلِ طَيٍّ، وَبَنِي سُلَيْمٍ، وَأَسَدٍ، وَهَوَازِنَ حَتَّى عَظُمَ شَأْنُهُمْ، وَسَمِعَ خَالِدٌ بِجَمْعِهِمْ فَجَاءَ إِلَيْهِمْ فَهَزَمَهُمْ وَعَقَرَ جَمَلَ أُمِّ زِمْلٍ وَقَتَلَهَا.

٥ - بنُو تَمِيمٍ:

اخْتَلَفَتْ آرَاءُ بَنِي تَمِيمٍ يَوْمَ الرِّدَّةِ، مِنْهُمْ مَنِ ارْتَدَّ وَامْتَنَع

---

(١) رواه البخاريّ من حديث الثّوريّ بسنده مختصراً.

عَنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ عَلَى إِسْلاَمِهِ، وَأَرْسَلَ الزَّكَاةَ إِلَى المَدِينَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ وَوَقَفَ يَنْتَظِرُ مَا تَتَمَخَّضُ عَلَيْهِ الأُمُورُ، وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ وَصَلَتْ إِلَيْهِمْ سَجَاحُ بِنْتُ الحَارِثِ بنِ سُوَيْدٍ التَّغْلِبِيَّةُ مِنَ الجَزِيرَةِ الفُرَاتِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ نَصَارَى العَرَبِ، وادَّعَتِ النُّبُوَّةَ، وَجَاءَتْ تُرِيدُ غَزْوَ المَدِينَةِ. فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى دِيَارِ تَمِيمٍ وَافَقَهَا عَامَّتُهُمْ وَخَاصَّةً رُؤساءَهُمْ مَالِكَ بنَ نُوَيْرَةَ[1]، وَعُطَارِدَ بنَ حَاجِبٍ. وَلَمْ يُوافِقْهَا آخَرُونَ، غَيْرَ أَنَّ بَنِي تَمِيمٍ قَدِ اتَّفَقُوا أَلاَّ يُحَارِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً. ثُمَّ دَعَتْ جَمْعَهَا إِلَى مُحَارَبَةِ الرَّبَابِ مِنْ تَمِيمٍ غَيْرَ أَنَّهُمُ اتَّفَقُوا عَلَى نَصْرِهَا. وَبَعْدَهَا سَارَتْ إِلَى مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ فَتَزَوَّجَهَا، وَبَقِيَتْ عِنْدَهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، وَأَخِيراً رَجَعَتْ إِلَى بِلاَدِهَا فَأَقَامَتْ فِي بَنِي تَغْلِبٍ حَتَّى أَجْلاَهُمْ مُعَاوِيَةُ عَنِ الجَزِيرَةِ عَامَ الجَمَاعَةِ (٤١ هـ).

---

(١) مالك بن نويرة: وافق سجاح أي آمن بنبوتها فهو بذلك قد ارتدّ وكفر. وأمّا من قال: إنه قد ندم، فلا شيء يدلّ على هذه الندامة، ولم يقل، ولم يعلن ذلك لأحد. ولو كان ذلك صحيحاً لسار إلى الخليفة وجدّد إسلامه. وأمّا شهادة أبي قتادة أنه رآهم يصلون، فهو لم يشهد أنه رأى مالكاً يصلي، وإنما بعض تميم، وقلنا: إن بعضهم قد بقي على الإسلام، فشهادته رضي الله عنه صحيحة. كما شهد آخرون أنهم لم يروهم يصلون فشهادتهم صحيحة أيضاً إذ كانت رؤيتهم قاصرة على غير المؤمنين، من الذين ارتدوا.

أَمَّا مَالِكُ بنُ نُوَيْرَةَ فَإِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: (البُطَاحَ)، فَسَارَ إِلَيْهِ خَالِدٌ بِجُنُودِهِ، وَتَـأَخَّرَتْ عَنْه الأَنْصَارُ عَلى أَنَّهُمْ قَدْ قَضَوْا المُهِمَّةَ الَّتِي كَلَّفَهُمْ بِهَا الصِّدِّيقُ، فَقَالَ لَهُمْ خَالِدُ: إِنَّ هَذَا أَمْرٌ لاَ بُدَّ مِنْ فِعْلِهِ، وَفُرْصَةٌ لاَ بُدَّ مِنَ انْتِهَازِهَا، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِنِي فِيْهَا كِتَابٌ، وَأَنَا الأَمِيرُ وَإِلَيَّ تَرِدُ الأَخْبَارُ، وَلَسْتُ بِالَّذِي أُجْبِرُكُمْ عَلَى السَّيْرِ، وَأَنَّا قَاصِدٌ (البُطَاحَ). فَسَارَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ لَحِقَهُ رَسُولُ الأَنْصَارِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الانْتِظَارَ، فَلَحِقُوا بِهِ. فَلَمَّا وَصَلَ خَالِدٌ إِلَى (البُطَاحِ)، وَعَلَيْهَا مَالِكُ بـن نُوَيْرَةَ، فَبَثَّ خَالِدُ السَّرَايَا فِي (البُطَاحِ) يَدْعُونَ النَّاسَ، فَاسْتَقْبَلَـهُ أُمَـرَاءُ النَّـاسِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَـةِ، وَدَفَعُـوا الـزَّكَاةَ[1]، غَيْرَ أَنَّ مَالِكَ بـنَ نُوَيْرَةَ بَقِـيَ فِي نَاحِيَةٍ عَنِ النَّـاسِ، مَتَحَيِّراً فِي أَمْرِهِ[2]، فَجَاءَتْهُ سَرَايَا خَالِدٍ وَأَسَرَتْهُ، وَأَسَرَتْ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ. وَاسْتَدْعَى خَالِدُ مَالِكاً، وَأَنَّبَهُ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُ مِنْ مُوَافَقَةِ سَجَاحٍ، وَعَلى مَنْعِهِ الزَّكَاةَ، وَكَانَ مِمّا قَالَ لَهُ: أَلَمْ

---

(١) يبدو أن السمع والطاعة ودفع الزكاة كان نتيجة الخوف، ومع ذلك فإن لنا الظاهر، وبه نحكم، ونترك أمرهم إلى الله.

(٢) إن تحير مالكٍ ليدل على عدم إيمانه، وعلى عدم توبته، وعلى عدم ندمه، ومع كل ما قيل: فليس هناك من أحدٍ من بني تميم الذين بقوا على إسلامهم قد عاتبوا خالداً في تصرّفه، أو ذكروا ذلك للصديق، وإن ضرار بن الأزور نفسه الذي ضرب عنقه هو من بني تميم.

تَعْلَمْ أَنَّهَا قَرِينَةُ الصَّلاَةِ؟ فَقَالَ مَالِكٌ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ كَانَ يَزْعُمُ ذَلِكَ. فَقَالَ خَالِدٌ: أَهُوَ صَاحِبُنَا وَلَيْس بِصَاحِبِكَ؟ فَتَأَكَّدَ خَالِدٌ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِ مَالِكٍ. فَقَالَ: يَا ضِرَارُ اضْرِبْ عُنُقَهُ، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ.

وَأَمَّا مَا قِيلَ فِي أَنَّ خَالِدَاً قَدْ جَعَلَ رَأْسَ مَالِكٍ مَعَ حَجَرَيْنِ مَوْقِداً، وَوَضَعَ عَلَيْهَا قِدْراً، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّمْثِيلِ، فَهَذَا أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَثَبُّتٍ، وَلَمْ يَصِحَّ. وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا لِيُرْهِبَ الأَعْرَابَ، وَمَا دَامَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ نَهى عَنِ التَّمْثِيلِ بِالقَتْلَى، فَلاَ يَصِحُّ هَذَا التصرُّفَ وَلاَ يُمكِنُ لِخَالِدٍ أَنْ يأْتِيَ بِمُحَرَّمٍ لِغَرَضٍ مَهْمَا كَانَ.

وَلِنَنْظُرْ إِلَى رِثَاءِ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرَةَ لأَخِيهِ مَالِكٍ عِنْدَ الصِّدِّيقِ، لَمْ يَذْكُرْ شَيْئَاً عَنْ إِسْلاَمِهِ وَالأَصْلُ أَنْ يَقُولَ فِيْهِ مَا يُحِبُّ الصِّدِّيقُ، أَوْ مَا يُثِيرُهُ عَلَى خَالِدٍ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الإِيمَانَ لَمْ يَكُنْ وَارِدَاً عِنْدَ أَحَدِهِمَا. وَمِمَّا قَالَهُ مُتَمِّمٌ فِي أَخِيهِ:

وَكُنَّا كَنَدْمَانِي جَذِيمَةَ بُرْهَةً
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

وَعِشْنَـا بِخَيْرٍ مَا حَيِينَـا وَقَبْلَنَا
أَبَـادَ المَنَـايَا قَـوْمَ كِسْـرَى وَتُبَّعَا
فَلَمَّـا تَفَرَّقْنَـا كَأَنِّـي وَمَالِكَا
لِطُـولِ اجْتِمَـاعٍ لَمْ نَبِـتْ لَيْلَـةً مَعَا

وَقَالَ أَيْضاً:

لَقَـدْ لاَمَنِـي عِنْـدَ القُبُـورِ عَلَـى البُكَا
رَفِيقِـي لِتِـذْرَافِ الدُّمُـوعِ السَّوَافِكِ
وَقَـالَ أَتَبْـكِي عِنْـدَ كُلِّ قَبْـرٍ رَأَيْتَهُ
لِقَبْـرٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّـوَى فَالدِّكَادِكِ
فَقُلْـتُ لَهُ: إِنَّ الأَسَـى يَبْعَـثُ الأَسَى
فَدَعْنِـي فَهَـذَا كُلُّـهُ قَبْـرُ مَالِكِ

وَأَمَّا أَنَّ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يُحَرِّضُ الصِّدِّيقَ عَلَى عَزْلِ خَالِدٍ، وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ فِي سَيْفِهِ لَرَهَقَـا، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ طَبِيعَةِ عُمَرَ إِذْ لاَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ الأَمِيرُ حَدِيثَ النَّاسِ سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ فِي القُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ أَوِ اللِّينِ وَالضَّعْفِ أو القَسْوَةِ وَالعُنْفِ لِذَا فَقَـدْ رَغِـبَ فِي عَزْلِ خَالِـدٍ غَيْرَ أَنَّ الصِّـدِّيقَ قَدْ أَجَابَهُ: لاَ أَشِيمُ سَيْفاً سَلَّـهُ اللَّـهُ عَلَـى الكُفَّـارِ. وَكَذَلِكَ كَانَ لِشَهَادَةِ أَبِي قَتَادَةَ دَورٌ فِي التَّأْثِيرِ عَلَى عُمَرَ. وَلِكَثْرَةِ الحَدِيثِ

استَدْعَى الصِّدِّيقُ خَالِداً إِلَى المَدِينَةِ وَدَفَعَ دِيَّةَ مَالِكٍ مِنْ مَالِهِ إِنْهَاءً لِلْخِلَافِ.

وَكَانَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَد اصْطَفَى امْرَأَةَ مَالِكِ بنِ نُوَيْرَةَ، أُمَّ تَمِيمٍ بِنْتِ المِنْهَالِ بنِ عِصْمَةَ الرِّيَاحِيِّ، وَبَنُو رِيَاحٍ بَطْنٌ مِنْ تَمِيمٍ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً، فَلَمَّا حَلَّتْ بَنَى بِهَا، وَهَذَا أَمْرٌ طَبَعِيٌّ، وَقَدْ سَارَ المُسْلِمُونَ عَلَى هَذَا المِنْهَجِ إِذْ يَتَزَوَّجُ الأَمِيرُ امْرَأَةَ كَبِيرِ القَوْمِ الخَصْمِ إِنْ قُتِلَ أَوْ مَاتَ، وَابْنَتَهُ إِنْ بَقِيَ، وَفِي هَذَا أَثَرٌ كَبِيرٌ لِنَشْرِ الإِسْلَامِ وَتَأْلِيفِ القُلُوبِ، وَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَوْدَةَ بِنْتَ زَمعَةَ بَعْدَ أَنْ تُوُفِّيَ زَوْجُهَا السَّكْرَانُ بنُ عَمْرٍو أَحَدَ سَادَاتِ بَنِي عَامِرٍ. وَتَزَوَّجَ جُوَيْرِيَّةَ بِنْتَ الحَارِثِ بنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ بَنِي المُصْطَلِقِ، فَكَانَ أَنْ أُعْتِقَ قَوْمُهَا، وَأَسْلَمُوا. وَتَزَوَّجَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ سَيِّدِ بَنِي النَّضِيرِ، وَزَوْجِ كِنَانَةَ بنِ الرَّبِيعِ بنِ أَبِي الحُقَيْقِ أَحَدِ سَادَاتِ بَنِي النَّضِيرِ، بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهَا وَزَوْجِهَا فِي خَيْبَرَ، وَتَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ بَعْدَ ارْتِدَادِ زَوْجِهَا عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ، وَتَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ هِنْدَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا أَبِي سَلَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزُومِيِّ.

وَتزَوَّجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَسْمَاءَ بنْتَ عُمَيْسٍ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ زَوْجِهَا جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وَبَعْدَ وَفاةِ أَبِي بَكْرٍ تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ.

وَتَزَوَّجَ خَالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ أُمَّ حَكِيمٍ بِنْتَ الحَارِثِ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ زَوْجِهَا عِكْرِمَةَ بنِ عَمْرِوِ بنِ هِشَامٍ. وَتَزَوَّجَهَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ زَوْجِهَا خَالِدِ بنِ سَعِيدِ بنِ العَاصِ.

وَتَزَوَّجَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ابْنَةَ عَمِّهِ عَاتِكَةَ بِنْتَ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا عَبْدِاللَّهِ بنِ أَبِي بَكْرٍ.

وَتَزَوَّجَ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ حَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ زَوْجِهَا مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ فِي أُحُدٍ.

وَتَزَوَّجَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ سَلْمَى بِنْتَ خَصَفَةَ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا المُثَنَّى بنِ حَارِثَةَ. وَالأَمْثِلَةُ كَثِيرَةٌ جِدّاً حَتَّى لَتَكَادُ تُعَدَّ قَاعِدَةً وَهِيَ أَنْ يَتَزَوَّجَ المَرْأَةَ، الَّتِي اسْتُشْهِدَ زَوْجُهَا الأَمِيْرُ أَوْ تُوُفِّيَ، أَحَدُ أَعْيَانِ القَوْمِ، وَعَلَى هَذَا تَزَوَّجَ خَالِدٌ أُمَّ تَمِيمٍ زَوْجَةَ مَالِكِ بنِ نُوَيْرَةَ.

إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ فَقَدْ لاَحَظَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَنَّ المَنْطِقَةَ قَدْ تَعَدَّدَتْ فِيْهَا زَعَامَةُ النِّسَاءِ وَالعَمَلُ عَلَى مُحَارَبَةِ الإِسْلاَمِ ، فَأُمُّ قَرْفَةَ، وَأُمُّ زِمْلٍ ، وَسَجَاحُ كُلُّهُنَّ قُدْنَ قَوْمَهُنَّ فِي مُحَارَبَةِ الإِسْلاَمِ وَرُبَّمَا لَوْ لَمْ يَتَزَوَّجْ خَالِدُ أُمَّ تَمِيمٍ لَقَادَتْ قَوْمَهَا وَقَاتَلَت المُسْلِمِينَ . كَمَا أَنَّ فِي هَذَا الزَّوَاجِ تَأْلِيفٌ لِقُلُوبِ بَنِي تَمِيمٍ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا وَذَاكَ فَإِنَّ خَالِدَاً قَدْ حَمَلَ مَعَهُ زَوْجَتَهُ أُمَّ تَمِيمٍ لِقِتَالِ بَنِي حَنِيفَةَ إِبْقَاءً لَهَا تَحْتَ يَدِهِ وَتَأْلِيفَاً لِقُلُوبِ قَوْمِهَا. وَاسْتُدْعِيَ خَالِدٌ إِلَى المَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ الصِّدِّيقِ وَسَأَلَهُ، فَعَذَرَهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ.

وَأَجِدُ نَفْسِي هُنَا مُضْطَرَّاً لِلتَّعْقِيبِ وَلَوْ بِكَلِمَةٍ صَغِيرَةٍ: إِنَّ المَرْأَةَ الَّتِي يُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا لَيْسَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى المَالِ بِقَدْرِ مَا هِيَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهَا وَيَرْعَى شُؤُونَهَا، فَلَمْ تُخْلَقِ المَرْأَةُ لِلْقَوَامَةِ. وَإِنَّمَا القَوَامَةُ لِلرَّجُلِ . غَيْرَ أَنَّ تَأْثِيرَ المُجْتَمَعَاتِ النَّصْرَانِيَّةِ عَلَيْنَا قَدْ أَضْحَى قَوِيَّاً، وَخُضُوعَنَا لِلضُّغُوطِ المَادِيَّةِ أَصْبَحَ كَثِيرَاً، فَإِذَا مَا تُوُفِّيَ زَوْجُ امْرَأَةٍ كَانَ هَمُّنَا وَتَفْكِيرُنَا مُنْصَبَّاً عَلَى مُسَاعَدَتِهَا مَادِيَّاً حَتَّى لَنَظُنَّ أَنَّ هَذَا التَّصَرُّفَ هُوَ الأَمْثَلُ، وَلاَ نُفَكِّرُ فِي زَوَاجِهَا وَهَذَا مَا تَطْلُبُهُ هِيَ أَوْ مَا تَتَطَلَّبُهُ حَيَاتُهَا. وَلَوْ تَزَوَّجَتْ لاَنْسَحَبَ تَفْكِيرُنَا عَلَى الجَانِبِ الجِنْسِي - مَعَ الأَسَفِ - لأَنَّ هَذَا هُوَ الخَطَأُ. إِذْ

نطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تَنْصَرِفَ إِلَى تَرْبِيَةِ الأَوْلاَدِ وَالقَوامَةِ عَلَيْهِمْ وَإِذَا كَانَتْ قَدْ خُلِقَتْ لِتَرْبِيَةِ الأُوْلاَدِ لَكِنْ لَمْ تُخْلَقْ لِلْقَوامَةِ. وَإِذَا مَا تُوُفِّيَتْ زَوْجَةُ رَجُلٍ بَدَأَتِ النَّصَائِحُ تُسْدَى إِلَيْهِ بِالزَّوَاجِ لإِيجَادِ مَنْ يَرْعَى شُؤُونَهُ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَرْعَى شُؤُونَهُ فَإِنَّ المَرْأَةَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهَا. وَإِذَا كُنَّا نَحْرَصُ عَلَى زَوَاجِ الرَّجُلِ الَّذِي تُوُفِّيَتْ زَوْجَتُهُ فَإِنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَحْرَصَ عَلَى زَوَاجِ المَرْأَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ زَوْجُهَا. وَإِذَا كُنَّا نَسْعَى أَنْ نَخْتَارَ لِلرَّجُلِ المَرْأَةَ المُنَاسِبَةَ لَهُ، فَإِنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَسْعَى إِلَى زَوَاجِ المَرْأَةِ مِنَ الرَّجُلِ الكُفْءِ لَهَا، وَامْرَأَةُ أَمِيرِ القَوْمِ يُكَافِئُهَا أَمِيرٌ مِنَ القَوْمِ.

٦ - بَنُو حَنِيفَةَ:

ارْتَدَّ أَكْثَرُ بَنِي حَنِيفَةَ فِي اليَمَامَةِ وَتَبِعُوا مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابَ الَّذِيْ ادَّعَى النُّبُوَّةَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَدِ اسْتَمْسَكَ بِعَقِيدَةِ الإِسْلَامِ مِثْلُ ثُمَامَةَ بنِ أُثَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالَّذِيْ كَانَ يُقِيمُ فِي (العُرَيْجَةِ) عَلَى ضِفَّةِ وَادِي بَنِي حَنِيفَةَ إِلَى الغَرْبِ مِنْ حُجْرِ اليَمَامَةِ (الرِّيَاضِ اليَوْمَ) بِأَرْبَعَةِ كِيْلُومِتْرَاتٍ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ غُلِبَ عَلَى أَمْرِهِ وَاضْطَرَّ لِلْخُرُوجِ مِنْ مَكَانِ إِقَامَتِهِ وَالْتَحَقَ بِالمُسْلِمِينَ القَادِمِينَ لِفَتْحِ اليَمَامَةِ.

كَانَ الصِّدِّيقُ قَدْ أَرْسَلَ عِكْرِمَةَ بنَ عَمْروٍ بنِ هِشَامٍ إِلَى اليَمَامَةِ لِقِتَالِ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ وَمَنْ مَعَهُ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَلَّا يَبْدَأَ القِتَالَ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ الدَّعْمُ بِإِمْرَةِ شُرَحْبِيلَ، غَيْرَ أَنَّهُ تَعَجَّلَ فَنُكِبَ، وَطَلَبَ مِنْ شُرَحْبِيلَ أَلَّا يُقَاتِلَ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ خَالِدٌ، وَلَكِنَّهُ تَعَجَّلَ فَنُكِبَ أَيْضاً.

لَمَّا لَمْ يَسْتَطِعْ عِكْرِمَةُ الوُصُولَ إِلَى حُجْرِ اليَمَامَةِ (الرِّيَاضِ اليَوْمَ) عَنْ طَرِيقِ (ثَنْيَةِ دِيرَابَ)، وَكَذَلِكَ كَانَ طَرِيقُ شُرَحْبِيلَ.

وَجَاءَ خَالِدٌ، وَعَبَرَ إِلَى اليَمَامَةِ مِنْ مَنْطِقَةِ العُوَيْنِدِ، وَأَسْرَعَ مُسَيْلَمَةُ إِلَى الشِّمَالِ، وَنَزَلَ فِي عَقْرَبَاءَ (الجُبَيْلَةَ اليَوْمَ) وَعَسْكَرَ هُنَاكَ. وَقَسَمَ خَالِدٌ جَيْشَهُ إِلَى قِسْمَيْنِ: سَلَكَ الأَوَّلُ مِنْهُمَا وَادِيَ الشُّعَيْبِ وَالَّذِيْ يُعْرَفُ بِاسْمِ وَادِي أَبِي قَتَادَةَ، وَقَدْ مَرَّ عَلَى (البَرَّةِ) وَ(حُرَيْمِلاَءَ) وَ(مُلْهَمٍ) ثُمَّ هَبَطَ إِلَى عَقْرَبَاءَ وَكَانَ بِقِيَادَةِ ضِرَارِ بنِ الأَزْوَرِ، وَسَارَ خَالِدٌ عَلَى رَأْسِ القِسْمِ الثَّانِي فِي وَادِي (الحَسْيَانِ) أَوِ الأُحَيْسِيِّ فَمَرَّ عَلَى (أَبَاض) وَ(العُيَيْنَةِ) وَمِنْهَا إِلَى عَقْرَبَاءَ. وَقَدِ التَقَتْ مُقَدِّمَةُ خَالِدٍ بِأَرْبَعِينَ فَارِساً عَلَيْهِمْ مَجَّاعَةُ بنُ مُرَارَةَ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ لِأَخْذِ ثَأْرٍ لَهُمْ. وَجِيءَ بِهِمْ إِلَى خَالِدٍ فَسَأَلَهُمْ: مَاذَا تَقُولُونَ يَا بَنِي حَنِيفَةَ؟ فَأَجَابُوا: مِنَّا نَبِيٌّ وَمِنْكُمْ نَبِيٌّ فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ، وَاسْتَبْقَى

(مَجَّاعَةَ بنَ مُرَارَةَ) إِذْ أَنَّهُ سَيِّدٌ مُطَاعٌ فِي بَنِي حَنِيفَةَ، وَلَهُ دِرَايَةٌ فِي الحَرْبِ، وَأَبْقَاهُ مُقَيَّدَاً فِي خَيْمَتِهِ.

عَبَّأَ خَالِدُ الجَيْشَ فَكَانَ شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ عَلَى المُقَدِّمَةِ، وَزَيْدُ بنُ الخَطَّابِ عَلَى المَيمَنَةِ، وَأَبُو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ عَلَى المَيْسَرَةِ. وَكَانَتْ رَايَةُ المُهَاجِرِينِ بِيَدِ سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَرَايَةُ الأَنْصَارِ بِيَدِ ثَابِتٍ بنِ قَيْسٍ بنِ شَمَّاسٍ.

بَدَأَتِ المَعْرَكَةُ، وَفَرَّ الأَعْرَابُ، وَوَصَلَ بَنُو حَنِيفَةَ إِلَى خَيْمَةِ خَالِدٍ وَهَمُّوا بِقَتْلِ أُمِّ تَمِيمٍ امْرَأَةِ خَالِدٍ غَيْرَ أَنَّ مَجَّاعَةَ المُقَيَّدَ فِي خَيْمَتِهَا قَدْ أَجَارَهَا، وَقَالَ لَهُمْ: نِعْمَتِ الحُرَّةُ هَذِهِ. وَقَتَلَ زَيْدُ بنُ الخَطَّابِ قَائِدَ مَيْسَرَةِ مُسَيْلَمَةَ الرِّجَّالَ بنَ عُنْفُوَةَ بنِ نَهْشَلٍ. ثُمَّ حَمَلَ المُسْلِمُونَ حَمْلَةً صَادِقَةً، وَحَمَلَ خَالِدُ حَتَّى جَاوَزَهُمْ، وَاتَّجَهَ نَحْوَ مُسَيْلَمَةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَقْتُلَهُ عِنْدَمَا يَصِلُ إِلَيْهِ. ثُمَّ وَقَفَ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَدَعَا لِلْمُبَارَزَةِ فَمَا بَرَزَ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَهُ. ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنْ مُسَيْلَمَةَ وَدَعَاهُ إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى الحَقِّ فَأَبَى وَاغْتَرَّ. وَهَجَمَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِقُوَّةٍ فَتَرَاجَعَ بَنُو حَنِيفَةَ وَوَلَّوْا الأَدْبَارَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ قَائِدُ مَيْمَنَتِهِمْ المُحَكِّمُ بنُ الطُّفَيْلِ بِدُخُولِ حَدِيقَةِ المَوْتِ، وَفِيْهَا مُسَيْلَمَةُ، فَدَخَلُوهَا وَاعْتَصَمُوا فِيْهَا، وَرَمَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ المُحَكِّمَ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ وَهُوَ يَخْطُبُ.

دَخَلَ بَنُو حَنِيفَةَ الحَدِيقَةَ وَأَغْلَقُوا البَابَ، وَأَحَاطَ المُسْلِمُونَ بِهَا، ثُمَّ إِنَّ البَرَاءَ بنَ مَعْرُورٍ قَدْ طَلَبَ مِنَ المُسْلِمِينَ رَفْعَهُ وإِلقَاءَهُ فِي الحَدِيقَةِ فَرَفَعُوهُ بِالتُّرُوسِ. فَنَزَلَ فِيْهَا وَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُهُمْ حَتَّى فَتَحَ البَابَ فَدَخَلَ المُسْلِمُونَ وَوَصَلُوا إِلَى مُسَيْلَمَةَ فَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَحْشِيٌّ بنُ حَرْبٍ ـ قَاتِلُ حَمْزَةَ ـ فَرَمَاهُ بِحَرْبَتِهِ فَأَصَابَهُ وَخَرَجَتْ مِنَ الجَانِبِ الآخَرِ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَسَقَطَ.

وَخَرَجَ خَالِدٌ وَمَعَهُ مَجَّاعَةُ بنُ مَرَارَةَ فَجَعَلَ يُرِيَهُ القَتْلَى لِيُعَرِّفَهُ عَلَى مُسَيْلَمَةَ، فَلَمَّا مَرُّوا بِالرِّجَّالِ بنِ عُنْفُوَةَ، قَالَ لَهُ خَالِدٌ: أَهَذَا هُوَ؟ قَالَ: لاَ، وَاللَّهِ هَذَا خَيْرٌ مِنْهُ، هَذَا الرِّجَّالُ بنُ عُنْفُوَةَ، ثُمَّ مَرُّوا بِرَجُلٍ أَصْفَرَ أَخْنَسَ، فَقَالَ: هَذَا صَاحِبُكُمْ، فَقَالَ خَالِدٌ: قَبَّحَكُمُ اللَّهُ عَلَى اتِّبَاعِكُمْ هَكَذَا.

وَبَعَثَ خَالِدٌ الخُيُولَ فِي الجِهَاتِ تُوَطِّدُ الأَمْرَ، ثُمَّ عَزَمَ عَلَى غَزْوِ الحُصُونِ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ فِيهَا إِلاَّ النِّسَاءُ والصِّبْيَانُ وَالشُّيُوخُ الكِبَارُ، فَخَدَعَهُ مَجَّاعَةُ فَقَالَ: إِنَّهَا مَلأَى رِجَالاً وَمُقَاتِلَةً فَهَلُمَّ فَصَالِحْنِي عَنْهَا، فَصَالَحَهُ خَالِدٌ لِمَا رَأَى مِنْ جَهْدِ المُسْلِمِينَ، فَقَدْ كَلُّوا مِنْ كَثْرَةِ الحُرُوبِ وَالقِتَالِ، فَقَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَذْهَبَ إِلَيْهِمْ لِيُوَافِقُونِي عَلَى الصُّلْحِ.

فَقَالَ: اذْهَبْ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ مَجَّاعَةُ فَأَمَرَ النِّسَاءَ أَنْ يَلْبِسْنَ الحَدِيدَ، وَيَبْرُزْنَ عَلَى أَعْلَى الحُصُونِ، فَنَظَرَ خَالِدٌ فَإِذَا الشُّرُفَاتُ مُمْتَلِئَةً بِالمُقَاتِلِينَ حَسْبَمَا ذَكَرَ مَجَّاعَةُ، فَأَمْضَى الصُّلْحَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمُوا جَمِيعاً، وَرَجَعُوا إِلَى الحَقِّ، وَرَدَّ خَالِدٌ بَعْضَ مَا كَانَ أَخَذَ مِنَ السَّبْيِ.

وَبَعْدَ مَعْرَكَةِ حَدِيقَةِ المَوْتِ تَابَعَ خَالِدٌ سَيْرَهُ فِي وَادِي حَنِيفَةَ نَحْوَ الجَنُوبِ، فَمَرَّ عَلَى (عِرْقَةَ) فَرَفَضَ أَهْلُهَا الصُّلْحَ حَتَّى أَلْزَمَهُمْ عَلَيْهِ بِالقُوَّةِ، وَوَصَلَ إِلَى (حُجْرِ اليَمَامَةِ) ثُمَّ تَابَعَ سَيْرَهُ جَنُوباً حَتَّى (حَائِرٍ)، وَمِنْهَا سَارَ فِي وَادِي (لُحَا) بِاتِّجَاهِ الشَّمَالِ الغَرْبِيِّ، وَاجْتَازَ الثَّنِيَةَ (ثَنْيَةَ لُحَا) الَّتِي يَمُرُّ مِنْهَا طَرِيقُ الرِّيَاضِ - الحِجَازِ. وَكَانَ قَدْ جَاءَهُ كِتَابٌ مِنَ الصِّدِّيقِ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الجِهَادِ وَالفَتْحِ فِي العِرَاقِ.

فِي الجِهَادِ وَالفَتْحِ:

لَمَّا انْتَهَى خَالِدٌ مِنْ أَمْرِ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ، وَإِعَادَةِ اليَمَامَةِ أَمَرَهُ الصِّدِّيقُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى العِرَاقِ، وَأَنْ يَبْدَأَ بِالأُبُلَّةِ (مَوْقِعَ البَصْرَةِ)، وَأَنْ يَتَأَلَّفَ النَّاسَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ أَجَابُوا فَذَلِكَ مَا يَنْبَغِي، وَإِلاَّ أَخَذَ مِنْهُمُ الجِزْيَةَ، وَإِنْ رَفَضُوا قَاتَلَهُمْ، وَأَمَرَهُ أَلاَّ يُكْرِهَ أَحَداً عَلَى السَّيْرِ مَعَهُ، وَلاَ

يَسْتَعِينَ بِمَنِ ارْتَدَّ عَنِ الإِسْلَامِ وَإِنْ عَادَ إِلَيْهِ، وَأَخَذَ الصِّدِّيقُ يُجَهِّزُ السَّرَايَا لِإِرْسَالِهَا مَدَداً إِلَى خَالِدٍ.

فِي العِرَاقِ :

كَانَ العِرَاقُ يَخْضَعُ لِسَيْطَرَةِ الفُرْسِ ، وَكَانَ عَدَدٌ مِنْ بُطُونِ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ يُقِيمُ فِي تِلْكَ الجِهَاتِ، وَمِنْهَا، تَغْلِبُ، وَبَكْرٌ، وَطَيءٌ، وَشَيبَانُ، وَرَبِيعَةُ وَغَيْرُها وكَانَتْ طَيْءٌ تُقِيمُ بِجِوَارِ الحِيْرَةِ، وَيَعْمَلُ زَعِيمُهَا عَلَى تَوْطِيدِ سُلْطَانِ الفُرْسِ فِي تِلْكَ الأَرْجَاءِ، وكَانَ عَلَى الحِيرَةِ هَانِىءُ بنُ قَبيصةَ الطَّائِيُّ أَخُو إِيَاسِ بنِ قَبِيصَةَ الَّذِي قَادَ مَعَ هَانِيءِ بنِ مَسْعُودٍ الشَّيْبَانِيِّ مَعْرَكَةَ (ذِي قَارٍ) ضِدَّ الفُرْسِ ، وَكَانَتِ الصِّلَةُ وَثِيقَةً بَيْنَ طَيْءٍ وَشَيْبَانَ.

وَكَانَ المُثَنَّى بنُ حَارِثَةَ أَحَدَ فُرْسَانِ شَيْبَانَ، وَقَدْ أَسْلَمَ فِي العَامِ التَّاسِعِ الهِجْرِيِّ، فَلَمَّا انْتَهَى الصِّدِّيقُ مِنْ حُرُوبِ الرِّدَّةِ فِي البَحْرَيْنِ قَوِيَ ظَهْرُ المُثَنَّى فَأَصْبَحَ مَحْمِيّاً بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي خَطَرٍ بِسَبَبِ المُرْتَدِّينَ خَلْفَهُ، فَطَلَبَ المُثَنَّى مِنَ الصِّدِّيقِ أَنْ يُؤَمِّرَهُ عَلَى قَوْمِهِ لِيُغِيرَ عَلَى الفُرْسِ ، فَأَمَّرَهُ، وَبَدَأَ العَمَلَ ضِدَّ الفُرْسِ ، وَقَدِ انْتَصَرَ فِي عِدَّةِ مَعَارِكَ، غَيْرَ أَنَّ المُجَاهِدِينَ مَعَهُ قِلَّةٌ، والفُرْسُ كَثِيرُونَ وَمَعَهُمُ القَبَائِلُ العَرَبِيَّةُ الَّتِي تَعِيشُ

هُنَاكَ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُهَا قَدْ تَنصَّرَ. لِذَا فَإِنَّ الصِّدِّيقَ قَدْ دَعَمَهُ بِخَالِدِ بنِ الوَلِيدِ وَعِيَاضِ بنِ غَنْمٍ.

مَا أَنِ انْتَهَى خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ مِنْ حَرْبِ اليَمَامَةِ حَتَّى جَاءَهُ الأَمْرُ بِالتَّحرُّكِ نَحْوَ العِرَاقِ لِدَعْمِ المُثَنَّى، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكُونَ دُخُولُهُ مِنَ الجنُوبِ عَنْ طَرِيقِ الأُبُلَّةِ وَالتَّوَجُّهِ نَحْوَ الحِيرَةِ، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ قَدَ أَمَرَ عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ أَنْ يَدْخُلَ العِرَاقَ مِنَ الأَعْلَى وَأَنْ يَتَحَرَّكَ نَحْوَ الحِيرَةِ، وَأَيُّهُمَا سَبَقَ إِلَى الحِيرَةِ فَالإِمْرَةُ لَهُ. ثُمَّ دَعَمَ الصِّدِّيقُ خَالِداً بِالقَعْقَاعِ بنِ عَمْروٍ وَدَعَمَ عِيَاضاً بِعَبْدِ بنِ عَوْفٍ الحِمْيَرِيِّ.

وَيَبْدُو أَنَّ خَالِداً قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الحِيْرَةِ مُبَاشَرَةً، لِيَرَى رَأْيَ العَرَبِ المُتَنصِّرَةِ فِيهَا، إِذْ فِيْهَا زَعِيمُهُمْ، وَنَائِبُ كِسْرَى، وَأَكْثَرُ مَشَايِخِ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ، وَلِيَحْمِيَ ظَهْرَهُ عِنْدَمَا يُوَاجِهُ الفُرْسَ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ المُثَنَّى كَانَ يُنَاوِشُ الفُرْسَ فِي مَنْطِقَةِ الحِيرَةِ. وَنَزَلَ خَالِدٌ فِي طَرِيقِهِ عَلَى قُرَيَّاتٍ عَلَى شَاطِيءِ الفُرَاتِ يُقَالَ لَهَا: بَانِقْيَا، وَبَارُوسْمَا، وَأَلِّيسَ، وَصَالَحَهُ أَهْلُهَا بَعْدَ أَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَكَتَبَ لِكَبِيرِ أَهْلِهَا (بُصْبُهْرَى بنِ صَلُوبَا) كِتَاباً، وَبَعْدَهَا سَارَ نَحْوَ الحِيرَةِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَشْرَافُهَا مَعَ قَبِيصَةَ بنِ إِيَاسٍ بنِ حَيَّةَ الطَّائِيِّ،

وَكَانَ أَمِيرُهَا مِنْ قِبَلِ كِسْرَى ، فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ : أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الإِسْلاَمِ ، فَإِنْ أَجَبْتُمْ فَأَنْتُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ ، لَكُمْ مَا لَهُمْ وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالجِزْيَةُ ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِأَقْوَامٍ هُمْ أَحْرَصُ عَلَى المَوْتِ مِنْكُمْ عَلَى الحَيَاةِ ، جَاهَدْنَاكُمْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . فَقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ : مَا لَنَا بِحَرْبِكَ مِنْ حَاجَةٍ ، بَلْ نُقِيمُ عَلَى دِينِنَا وَنُعْطِيكُمُ الجِزْيَةَ . فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ : تَبّاً لَكُمْ ، إِنَّ الكُفْرَ فَلاَةٌ مُضِلَّةٌ ، فَأَحْمَقُ العَرَبِ مَنْ سَلَكَهَا . ثُمَّ صَالَحَهُمْ عَلَى تِسْعِينَ أَلْفاً .

ثُمَّ وَاعَدَ خَالِدٌ المَجْمُوعَاتِ الَّتِي تُقَاتِلُ فِي العِرَاقِ (الحَضِيرَ) لِيَلْتَقِي الجَمِيعُ هُنَاكَ وَيَسِيرُوا لِقِتَالِ الفُرْسِ مِنْ جَنُوبِي العِرَاقِ أَوَّلاً فَأَوَّلُ ، فَخَرَجَ المُثَنَّى قَبْلَ يَوْمَيْنِ ، وَخَرَجَ بَعْدَئِذٍ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ وَعَاصِمُ بنُ عَمْرٍو التَّمِيمِيُّ بَعْدَ يَوْمٍ ، ثُمَّ خَرَجَ خَالِدٌ بِمَنْ مَعَهُ ، وَالتَقَى الجَمِيعُ فِي (الحَضِيرِ) ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ ألفاً ، وَسَارُوا نَحْوَ (الأُبُلَّةَ) ، فَالْتَقَوْا مَعَ (هُرْمُزَ) أَحَدِ أَشْرَافِ الفُرْسِ ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةً حَامِيَةً ثُمَّ نَزَلَ (هُرْمُزُ) وَدَعَا لِلْمُبَارَزَةِ ، فَتَقَدَّمَ لَهُ خَالِدٌ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، ، وَاحْتَضَنَهُ خَالِدٌ ، وَجَاءَتْ حَامِيَةُ (هُرْمُزَ) مِمَّا شَغَلَ خَالِدُ عَنْ قَتْلِ خَصْمِهِ ، وَأَسْرَعَ القَعْقَاعُ وَهَجَمَ عَلَى

حَامِيَةِ (هُرْمُزَ)، وَانْهَزَمَ الفُرْسُ، وَاستَمَرَّ المُسْلِمُونَ يَعْمَلُونَ فِيهِمْ قَتْلاً حَتَّى جَاءَ اللَّيْلُ، وَعُرِفَتِ المَعْرَكَةُ بِذَاتِ السَّلاَسِلِ، إِذْ رَبطَ الفُرْسُ أَنْفُسَهُمْ بِالسَّلاَسِلِ كَيْ لاَ يَفِرُّوا، وَاسْتَحْوَذَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ. وَبَعَثَ خَالِدٌ بِالغَنَائِمِ إِلَى الصِّدِّيقِ فَنَفَلَهُ قَلَنْسُوَةَ (هُرْمُزَ)، وَكَانَتْ بِمَائَةِ أَلْفٍ.

وَتَقَدَّمَ المُسْلِمُونَ نَحْوَ (الأُبُلَّةِ)، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِلْفَلاَّحِينَ بَلْ لِلْمُقَاتِلَةِ فَقَطْ، وَاسْتَوْلَى خَالِد عَلَى (الأُبُلَّةِ) وَتَابَعَ سَيْرَهُ نَحْوَ الشَّمَالِ حَيْثُ وَصَلَ المَدَدُ الفَارِسِيُّ المُرْسَلُ إِلَى (هُرْمُزَ)، وَالتَقَى الطَّرَفَانِ فِي مَوْقِعِ (المَذَارِ)[1]، فَقُتِلَ قَائِدُ الفُرْسِ (قَارِنُ) عَلَى يَدِ مَعْقِلِ بنِ الأَعْشَى، كَمَا قُتِلَ أَكْثَرُ أُمَرَائِهِمْ، إِذْ قَتَلَ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ (قُبَاذَ)، وَقَتَلَ عَاصِمُ بنُ عَمْرٍو التَّمِيمِيُّ (أَنُو شَجَانَ)، وَانْهَزَمَ الفُرْسُ بَعْدَ أَنْ خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ ثَلاَثِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ، كَمَا غَرِقَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي النَّهْرِ.

وَصَلَ خَبَرُ (المَذَارِ) إِلَى (أَرْدَشِيرَ) مَلِكِ فَارِسَ فَبَعَثَ قُوَّةً كَبِيرَةً التَقَتْ مَعَ المُسْلِمِينَ فِي مَوْقِعِ (الوَلَجَةِ) فَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ، وَكَانَ مَعَ الفُرْسِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ فَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَهَذَا مَا أَثَارَ عَشَائِرَهُمْ فَاجْتَمَعُوا عَلَى

(١) المذار: على نهر دجلة قبل التقائه بنهر الفرات بخمسين كيلومتراً.

عَبْدِ الأَسْوَدِ العِجْلِيِّ، وَراسَلُوا (أَزْدِشِيرَ) وَتَعاهَدُوا (أَلَّيْسَ) فَسارَ إِلَيْهِمْ خالِدٌ، وَقَتَلَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ مَدَدُ الفُرْسِ . وَوَصَلَ الخَبَرُ إِلَى الصِّدِّيقِ مَعَ جَنْدَلٍ مِنْ بَنِي عِجْلٍ ، فَقَالَ الصِّدِّيقُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! إِنَّ أَسَدَكُم قَدْ عَدَا عَلَى الأَسَدِ فَغَلَبَهُ عَلَى خَرَاذِيلِهِ[1] ، عَجَزَتِ النِّسَاءُ أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ.

ثُمَّ سَارَ خَالِدٌ فدخَلَ الحِيرَةَ وَجَاءَهُ فِيْهَا جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ البَجَلِيُّ مَدَداً، وَقَتَلَ الفُرْسُ (أَزْدَشِيرَ) وَابْنَهُ (شِيرِينَ) وَكُلَّ مَنْ يَمُتُّ إِلَيْهِمَا بِصِلَةٍ انْتِقَاماً لِقَتْلاَهُمْ، وَنَقْمَةً مِنْهُ، وَأَرْسَلُوا الجُيُوشَ لِتَحُولَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَبَيْنَ (المَدَائِنِ) قَاعِدَةِ الفُرْسِ ، وَقَدْ كَتَبَ خَالِدٌ إِلَى زُعَمَاءِ الفُرْسِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ لِتَوطِيدِ مُلْكِهِمْ، أَوْ يَدْفَعُوا الجِزْيَةَ، أَوْ يَسْتَعِدُّوا لِقُدُومِهِ عَلَيْهِمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ المَوْتَ كَمَا يُحِبُّونَ هُمُ الحَيَاةَ. فَعَجِبَ الفُرْسُ مِنْ جُرْأَةِ خَالِدٍ، وَسَخِرُوا مِنْ ذَلِكَ. وَبَقِيَ خَالِدٌ مُدَّةً بَعْدَ صُلْحِ الحِيرَةِ يُرْسِلُ السَّرَايَا تَجُوبُ فِي مَنْطِقَةِ السَّوَادِ بَيْنَ نَهْرِيْ دِجْلَةَ وَالفُرَاتَ.

وَسَارَ خَالِدٌ إِلى الأَنْبَارِ وَعَلَيْهَا (شِيرْزَادْ)، وَحَوْلَهَا خَنْدَقٌ

---

(١) خراذيل : قطع اللحم ، ويقصد طعام الأسد.

فَرشَقَهُمُ المُسْلِمُونَ بِالنَّبْلِ فَفُقِئَتْ كَثِيرٌ مِنْ عُيُونِ الفُرْسِ حَتَّى سُمِّيَتِ المَعْرَكَةُ (ذَاتَ العُيُونِ)، وَضَجَّ الفُرْسُ، فَرَاسَلَ (شِيرْزَادْ) خَالِدَاً بِالصُّلْحِ ، فَوَافَقَ خَالِدٌ، وَوَضَعَ شُرُوطَاً رَفَضَهَا (شِيرْزَادْ) مُعْتَمِدَاً عَلَى الحِمَايَةِ بِالخَنْدَقِ ، فَجَاءَ خَالِدٌ بِالنُّوقِ الهَزِيلَةِ فَذَبَحَهَا وَرَدَمَ بِهَا الخَنْدَقَ، وَاجْتَازَهُ وَأَصْحَابُهُ. فَلَمَّا رَأَى (شِيرْزَادْ) ذَلِكَ وَافَقَ عَلَى شُرُوطِ خَالِدٍ وَاشْتَرَطَ إِبْلاَغَهُ مَأْمَنَهُ، فَوَفَّى لَهُ خَالِدٌ بِذَلِكَ.

وَلَّى خَالِدٌ عَلَى الأَنْبَارِ الزِّبْرِقَانَ بنَ بَدْرٍ، وَقَصَدَ هُوَ عَيْنَ التَّمْرِ، فَوَقَفَ فِي وَجْهِهِ الفُرْسُ وَعَلَيْهِمْ (مِهْرَانُ بنُ بَهْرَامَ) وَالقَبَائِلُ العَرَبِيَّةُ مِثْل: إِيَادٍ، وَتَغْلِبَ وَعَلَيْهِمْ عَقَّةُ بنُ أَبِي عَقَّةَ، فَقَالَ عَقَّةُ لِمِهْرَانَ: دَعُونَا لِقِتَالِ خَالِدٍ فَالعَرَبُ أَدْرَى بِقِتَالِ العَرَبِ فَوَافَقَ مِهْرَانُ. وَقَبْلَ أَنْ يُسَوِّيَ عَقَّةُ صُفُوفَهُ هَجَمَ عَلَيْهِ خَالِدٌ وَحَمَلَهُ أَسِيراً وَعَدَداً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَمَّا بَلَغَ (مِهْرَانَ) خَبَرُ عَقَّةَ تَرَكَ حِصْنَ عَيْنِ التَّمْرِ وَوَلَّى هَارِبَاً، وَرَجَعَتْ فُلُولُ العَرَبِ المُتَنَصِّرَةِ إِلَى الحِصْنِ فَاحْتَمَتْ بِهِ وَقَدْ وَجَدَتْهُ مَفْتُوحَاً خَالِيَاً، فَجَاءَ خَالِدٌ وَحَاصَرَهُمْ فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الحِصَارُ طَلَبُوا الصُّلْحَ، فَأَبَى إِلاَّ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِهِ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ فَقَتَلَهُمْ. وَوَجَدَ فِي كَنِيسَةٍ أَرْبَعِينَ غُلاَمَاً يَتَعَلَّمُونَ الإِنْجِيلَ فَأَخَذَهُمْ

وَفَرَّقَهُمْ بَيْنَ قَادَةِ الجَيْشِ ، فَاشْتَهَر بَعْضُهُمْ مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْراً، إِذْ كَانَ مِنْهُمْ سِيرِينُ وَالِدُ مُحَمَّدِ بنِ سِيرِينَ، وَقَدْ أَخَذَهُ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَكَانَ نُصَيْرٌ وَالِدُ مُوسَى بنِ نُصَيرٍ.

سَارَ الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ بِخُمْسِ الغَنَائِمِ مِنْ عِنْدِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ بِالعِرَاقِ إِلَى الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، فَرَدَّ الصِّدِّيقُ الوَلِيدَ بِكَوْكَبَةٍ مِنَ الفُرْسَانِ لِدَعْمِ عِيَاضِ بنِ غَنْمٍ الَّذِي يُحَاصِرُ دَوْمَةَ الجَنْدَلِ فَوَجَدَهُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ العِرَاقِ يُحَاصِرُ قَوْماً، وَهُمْ قَدْ أَخَذُوا عَلَيْهِ الطُّرُقَ، فَهُوَ مَحْصُورٌ أَيْضاً. فَقَالَ عِيَاضُ لِلْوَلِيدِ: إِنَّ بَعْضَ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ جَيْشٍ كَثِيفٍ، مَاذَا تَرَى فِيمَا نَحْنُ فِيْهِ؟ فَقَالَ لَهُ الوَلِيدُ: اكْتُبْ إِلَى خَالِدٍ يَمُدُّكَ بِجَيْشٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْتَمِدُّهُ. فَقَدِمَ كِتَابُ عِيَاضٍ عَلَى خَالِدٍ إِثْرَ وَقْعَةِ (عَيْنِ التَّمْرِ) وَهُوَ يَسْتَغِيثُ بِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ خَالِدٍ إِلَى عِيَاضٍ : إِيَّاكَ أُرِيدُ.

لَبِّثْ قَلِيلاً تَأْتِكَ الحَلائِبُ
يَحْمِلْنَ آسَاداً عَلَيْهَا القَاشِبُ
كَتَائِبٌ تَتْبَعُهَا كَتَائِبُ

سَارَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ مِنْ عَيْنِ التَّمْرِ بَعْدَ أَنْ وَلَّى عَلَيْهَا عُوَيْمِرَ الأَسْلَمِيَّ، فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ دَوْمَةِ الجَنْدَلِ بِمَسِيرِ خَالِدٍ إِلَيْهِمُ

اسْتَغَاثُوا بِالقَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ المُتَنَصِّرَةِ فَجَاءَتْ جُمُوعٌ مِنْ بَهْرَاءَ، وَكَلْبٍ، وَتَنُوخَ، وَغَسَّانَ، غَيْرَ أَنَّ أَحَدَ أُمَرَائِهَا قَدْ فَارَقَهُمْ، وَهُوَ (الأُكَيْدِرُ)، فَأَرْسَلَ خَالِدُ لَهُ عاصِمَ بنَ عَمْرٍو فَاعْتَرَضَ سَبِيلَهُ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَأَخَذَهُ أَسِيراً، وَسَارَ خَالِدُ إِلَى دَوْمَةِ الجَنْدَلِ وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِيَاضِ بنِ غَنْمٍ، فَانْقَسَمَ الأَعْدَاءُ قِسْمَينِ: كُلُّ قِسْمٍ مُقَابِلَ أَمِيرٍ مُسْلِمٍ، فَحَمَلَ خَالِدُ وَحَمَلَ عِيَاضُ، وَأَسَرَ خَالِدُ (الجُودِيَّ بنَ رَبِيعَةَ) أَمِيرَ دَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَاعْتَصَمَ الأَعْدَاءُ بِالحِصْنِ، فَاقْتَلَعَ خَالِدُ بابَ الحِصْنِ، ثُمَّ اقْتَحَمَهُ وَمَنْ مَعَهُ، فَقَتَلُوا المُقَاتِلَةَ، وَسَبُوا الذَّرَارِيَ. وَسَيَّرَ خَالِدُ الأَقْرَعَ بنَ حَابِسٍ إِلَى الأَنْبَارِ، وَبَقِيَ هُوَ فِي دَوْمَةِ الجَنْدَلِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الحِيرَةِ.

طَمِعَ الفُرْسُ بِالمُسْلِمِينَ لِغِيَابِ خَالِدٍ، وَأَرَادُوا دُخُولَ الأَنْبَارِ وَأَخْذِهَا مِنْ يَدِ الزَّبْرِقَانِ بنِ بَدْرٍ فاسْتَنْجَدَ بِالقَعْقَاعِ بنِ عَمْرٍو نَائِبِ خَالِدٍ عَلَى الحِيرَةِ، فَبَعَثَ القَعْقَاعُ إِلَى (الحُصَيْدِ) أَعْبَدَ بنَ فَدَكِي السَّعْدِيَّ، وَبَعَثَ عُرْوَةَ بنَ أَبِي الجَعْدِ البَارِقِيَّ إِلَى (الخَنَافِسِ). وَرَجَعَ خَالِدُ إِلَى الحِيرَةِ وَقَدْ بَلَغَهُ اجْتِمَاعُ الفُرْسِ والعَرَبِ المُتَنَصِّرَةِ لِقِتَالِ المُسْلِمِينَ، فَخَرَجَ مِنَ الحِيرَةِ وَقَدْ وَلَّى عَلَيْهَا عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ، وَسَارَ إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ

الأقْرَعُ بنُ حَابِسٍ . وَمَكَثَ خَالِدُ فِي عَيْنِ التَّمْرِ وَأَرْسَلَ القَعْقَاعَ أَمِيراً عَلَى القَوْمِ فَالْتَقَى مَعَ الفُرْسِ فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ (**الحُصَيْدُ**) فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ، فَهَرَبُوا إِلَى مَوْقِعِ (الخَنَافِسِ) فَسَارَ إِلَيْهِمْ أَعْبَدُ بنُ فَدَكِي السَّعْدِيُّ أَبُو لَيْلَى. فَلَمَّا أَحَسُّوا بِذَلِكَ سَارُوا إِلَى (**المُصَيَّخِ**) فَقَصَدَهُمْ خَالِدُ فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا اليَسِيرُ.

وَانْتَصَرَ خَالِدُ أَيْضاً فِي وَقْعَتَي **الثَّنِي وَالزُّمَيْلِ**، وَهُمَا قُرْبَ الرَّصَافَةِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الرِّقَةِ. ثُمَّ سَارَ خَالِدُ بِالمُسْلِمِينَ إِلَى **الفِرَاضِ**، وَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُهُ إِلَى الرُّومِ غَضِبُوا، وَجَمَعُوا لَهُ الجُمُوعَ، كَمَا اسْتَنْفَرُوا العَرَبَ المُتَنَصِّرَةَ، وَعَبَرُوا نَهْرَ الفُرَاتِ إِلَى المُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةً طَاحِنَةً قُتِلَ فِيهَا مِنَ الرُّومِ وَأَعْوَانِهِمْ مَا يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ ذِي القِعْدَةِ مِنَ العَامِ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الهِجْرَةِ، فَأَقَامَ خَالِدُ بِالفِرَاضِ عَشْرَةَ أَيَّام، ثُمَّ أَمَرَ بِالعَوْدَةِ إِلَى الحِيرَةِ فِي ٢٥ ذِي القِعْدَةِ، فَسَارَ عَاصِمُ بنُ عَمْروٍ فِي المُقَدِّمَةِ، وَشَجَرَةُ بنُ الأَعَزِّ فِي السَّاقَةِ، وَبَدَا خَالِدُ أَنَّهُ فِي السَّاقَةِ، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ مَعَ عَدَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى مَكَّةَ فَشَهِدَ المَوْسِمَ، وَرَجَعَ إِلَى الحِيرَة، وَلَمَّا عَلِمَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ يُعَاتِبُهُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالسَّيْرِ إِلَى الشَّامِ لِمُسَاعَدَةِ

أبي عُبَيْدَةَ فِي قِتَالِهِ الرُّومِ ، فَانْطَلَقَ خَالِدُ بِقِسْمٍ مِنْ جَيْشِهِ إِلَى الشَّامِ .

وَهَكَذا فَإِنَّ خَالِداً قَدْ جَالَ بِخَيْلِهِ فِي أَكْثَرِ السَّوَادِ، وَتَقَدَّمَ عَلَى الضِّفَة اليُمْنَى لِنَهْرِ الفُرَاتِ مَسَافَاتٍ طَوِيلَةً حَتَّى شَارَفَ الرِّقَّةَ، وَهَذَا التَّقَدُّمُ قَدْ أَضْعَفَ مِنْ مَعْنَوِيَّاتِ العَدُوِّ، وَهَذِهِ إِحْدَى طُرُقِ خَالِدِ الحَرْبِيَّةِ وَهِيَ الدُّخُولُ فِي عُمْقِ أَرْضِ الخَصْمِ ، وَلَا يَتَقَدَّمُ حَتَّى يَكُونَ مَحْمِيًّاً مِنْ جِهَةٍ كَيْ لَا يَتَمَكَّنَ العَدُوُّ مِنَ الإِطْبَاقِ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ فِيمَا لَوْ فَكَّرَ فِي ذَلِكَ. فَلَمْ يَنْطَلِقْ إِلَى (الأُبُلَّةِ) حَتّى ضَمِنَ الجِهَةَ الغَرْبِيَّةَ، وَهَذَا مَا سَاعَدَهُ فِي التَّقَدُّمِ نَحْوَ (المَذَارِ) وَ (الوَلَجَةِ)، وَعِنْدَمَا تَقَدَّمَ فِي حَوْضِ الفُرَاتِ يَعْلَمُ أَنَّ بَادِيَةَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ خَالِيَةٌ مِنَ المُقَاتِلِينَ الرُّومِ وَالفُرْسِ ، وَأَنَّ الأَعْرَابَ قَدْ أَرْهَبَهُمْ وَدَوَّخَهُمْ، وَبَعْدَ أَنْ يَجِدَ الحِمَايَةَ لِإِحْدَى مَجْنَبَتَيْهِ يُلْقِي بِثِقْلِهِ عَلَى العَدُوِّ مُقْتَحِماً تَحْصِينَاتِهِ، وَمُبَاغِتاً لَهُ، وَمُلْقِياً بِنَفْسِهِ وَبِقِطْعَتِهِ السَّرِيعَةِ الحَرَكَةِ، وَفُرْسَانِهِ الأَشِدَّاءِ، غَيْرَ مُبَالٍ ، وَغَالِباً مَا تَكُونُ حَرَكَتُهُ مُفَاجِئَةً .

الطَّرِيقُ إِلَى الشَّامِ :

وَصَلَ كِتَابُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى خَالِدٍ وَهُوَ بِالحِيرَةِ وَفِيهِ: أَنْ سِرْ

حَتَّى تَأْتِيَ جُمُوعَ المُسْلِمِينَ بِاليَرْمُوكِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ شَجَوْا وَأَشَجُّوا، وَإِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ لِمِثْلِ مَا فَعَلْتَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُشْجِ الجُمُوعَ مِنَ النَّاسِ بِعَونِ اللَّهِ شَجَاكَ، وَلَمْ يَنْزِعِ الشَّجَى مِنَ النَّاسِ نَزْعُكَ، فَلْيُهَنِّئْكَ النِّيَّةَ وَالحُظْوَةَ فَأَتْمِمْ يُتْمِمِ اللَّهُ لَكَ، وَلا يَدْخُلَنَّكَ عَجَبٌ فَتَخسَرَ وَتُخْذَلَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُدِلَّ بِعَمَلٍ، فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ المَنُّ وَهُوَ وَلِيُّ الجَزَاءِ.

وَجَاءَ فِيمَا كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ لِخَالِدٍ: أَمَّا بَعْدُ فَدَعِ العِرَاقَ وَخَلِّفْ فِيهِ أَهْلَهُ الَّذِينَ قَدِمْتَ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ فِيهِ، وَامْضِ مُخْتَفِياً مِنْ أَهْلِ القُوَّةِ مِنْ أَصْحَابِكَ الَّذِينَ قَدِمُوا مَعَكَ العِرَاقَ مِنَ اليَمَامَةِ وَصَحِبُوكَ فِي الطَّرِيقِ، وَقَدِمُوا عَلَيْكَ مِنَ الحِجَازِ، حَتَّى تَأْتِيَ الشَّامَ فَتَلْقَى أَبَا عُبَيْدَةَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَإِذَا التَقَيْتُمْ فَأَنْتَ أَمِيرُ الجَمَاعَةِ والسَّلَامُ.

سَارَ خَالِدٌ مِنَ الحِيرَةِ فِي العِرَاقِ، وَقَدِ اسْتَخْلَفَ المُثَنَّى بنَ حَارِثَةَ الشَّيبَانِيَّ عَلَى جُنْدِ العِرَاقِ، وَسَارَ هُوَ إِلَى الشَّامِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكَ الأَمْنَ يَوْمَ الخَوْفِ، والعِصْمَةَ فِي دَارِ الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ يَأْمُرُنِي بِالمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ وَبِالقِيَامِ عَلَى جُنْدِهَا وَالتَّوَلِّي لِأَمْرِهَا، وَاللَّهِ مَا طَلَبْتُ ذَلِكَ قَطُّ وَلَا أَرَدْتُهُ إِذْ

وُلِّيتُهُ فَأَنْتَ عَلَى حَالِكَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا لاَ نَعْصِيكَ وَلاَ نُخَالِفُكَ وَلاَ نَقْطَعُ دُونَكَ أَمْراً، فَأَنْتَ سَيِّدُ المُسْلِمِينَ، لاَ نُنْكِرُ فَضْلَكَ، وَلاَ نَسْتَغْنِي عَنْ رَأْيِكَ، تَمَّمَ اللَّهُ بِنَا وَبِكَ مِنْ إِحْسَانٍ، وَرَحِمَنَا وَإِيَّاكَ مِنْ صِلِيِّ النَّارِ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

سَارَ خَالِدٌ مِنَ الحِيرَةِ إِلَى (قَرَاقِرٍ) حَيْثُ شَيَّعَهُ إِلَيْهَا المُثَنَّى بنُ حَارِثَةَ، وَمِنْهَا إِلَى (سُوَى)، ثُمَّ تَحَرَّكَ إِلَى (دَوْمَةِ الجَنْدَلِ)، وَأَغَارَ عَلَى (مُصَيَّخِ بَهْرَاءَ)، ثُمَّ نَحْوَ الشَّمَالِ مَعَ وَادِي السَّرْحَانِ إِلَى شَرْقِ جَبَلِ حَوْرَانَ (الدُّرُوزِ اليَوْمَ) حَتَّى وَصَلَ إِلَى (أَرَكَ)[1] فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا، وَسَارَ إِلَى (تَدْمُرَ) فَتَحَصَّنَ أَهْلُهَا، ثُمَّ صَالَحُوهُ، وَمِنْهَا سَارَ إِلَى (القَرْيَتَيْنِ) فَـ (حَوَّارِينَ)، وَلَمَّا عَلِمَ الغَسَاسِنَةُ بِذَلِكَ، اجْتَمَعُوا لَهُ بِـ (مَرْجِ رَاهِطٍ) فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي يَوْمِ فِصْحِهِمْ، وَعَلَيْهِمُ الحَارِثُ بنُ الأَيْهَمِ، فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى الغُوطَةِ بُسْرَ بنَ أَبِي أَرْطَأَةَ وَحَبِيبَ بنَ مَسْلَمَةَ ثُمَّ سَارَ إِلَى (بُصْرَى الشَّامِ) فَافْتَتَحَهَا وَهِيَ أَوَّلُ مَدِينَةٍ فَتَحَهَا مِنْ بِلاَدِ الشَّامِ، وَانْطَلَقَ بَعْدَهَا إِلَى اليَرْمُوكِ. وَرُبَّمَا يَتَسَاءَلُ المَرْءُ عَنْ سَبَبِ

---

(١) أرك: واحة قرب تدمر، سكانها كانوا من النصارى، وهي ذات نخل وزيتون.

قَطْعِهِ هَذِهِ الطَّرِيقَ الطَّوِيلَةَ وَالمُلْتَوِيةَ؟ إِنَّهُ أَرَادَ أَلَّا يَصْطَدِمَ بِالرُّومِ قَبْلَ الاجْتِمَاعِ مَعَ إِخْوَانِهِ المُسْلِمِينَ المُجَاهِدِينَ وَبِخَاصَّةٍ أَنَّهُ أَصْبَحَ أَمِيرَ الفَاتِحِينَ فِي الشَّامِ فَلاَ بُدَّ مِنَ الوُصُولِ إِلَى جُنْدِهِ لِيَقُودَهُمْ فِي القِتَالِ، وَإِنَّ خِطَّةَ المُسْلِمِينَ كَانَتْ تَقْضِي بِأَنْ يَكُونَ القِتَالُ مُجْتَمِعِينَ لاَ مُتَفَرِّقِينَ لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ قِتَالِ الرُّومِ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ أَعْدَاداً كَبِيرَةً تَفُوقُ عَدَدَ المُسْلِمِينَ بِعَشْرَةِ أَمْثَالٍ، وَلِلرُّومِ ثُغُورٌ وَسَطَ بَادِيَةِ الشَّامِ حَيْثُ كَانَتْ مِنْ قَبْلُ مَسْرَحاً لِلْمَعَارِكِ الدَّائِرَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الفُرْسِ، فَلَوْ سَارَ مِنَ (الحِيرَةِ) مُبَاشَرَةً نَحْوَ الغَرْبِ لاَصْطَدَمَ بِتِلْكَ الثُّغُورِ أَوْ نُقَاطِ الاسْتِنَادِ، وَلأَضَاعَ عَلَى المُسْلِمِينَ تَجَمُّعَهُمْ فِي اليَرْمُوكِ وَقِيَادَتِهِ لَهُمْ إِذْ يَضْطَرُّ قِسْمٌ مِنْهُمْ لِلسَّيْرِ نَحْوَ خَالِدٍ لَدَعْمِهِ وَلِهَذَا اضْطَرَّ أَنْ يَسِيرَ نَحْوَ الجَنُوبِ لِيَتَجَاوَزَ تِلْكَ الثُّغُورَ عَنْ طَرِيقِ (دَوْمَةِ الجَنْدَلِ)، ثُمَّ اتَّجَهَ شَمَالاً وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الشَّرْقِ مِنْ (بُصْرَى الشَّامِ) وَجَدَ نَفْسَهُ أَمَامَ جَبَلِ حَوْرَانَ (الدُّرُوزِ) البُرْكَانِيِّ الصَّعْبِ الاجْتِيَازِ، فَأَرَادَ الالْتِفَافَ حَوْلَهُ وَلَكِنْ كُلَّمَا اتَّجَهَ يَسْرَةً وَجَدَ مُرْتَفَعَاتٍ (دَيْرَةَ التُّلُولِ ـ الجَبَلَ الشَّرْقِيَّ) وَأَخِيراً وَجَدَ نَفْسَهُ مَعَ سُرْعَتِهِ المَعْرُوفَةِ فِي مَنْطِقَةِ (تَدْمُرَ)، لِذَا عَادَ فَرَجَعَ إِلَى الغَرْبِ عَنْ طَرِيقِ (القَرْيَتَيْنِ)، فَثَنْيَةِ العِقَابِ (الثَّنَايَا) فَشَرْقِ دِمَشْقَ إِلَى (بُصْرَى الشَّامِ) فَفَتَحَهَا، وَمِنْهَا سَارَ إِلَى اليَرْمُوكِ.

فِي الشَّامِ

١ً - فِي اليَرْمُوكِ:

وَصَلَ خَالِدُ إِلَى اليَرْمُوكِ، وَصَلَّى فِي اليَوْمِ الأَوَّلِ بِجُنْدِهِ الَّذِينَ قَدِمُوا مَعَهُ مِنَ العِرَاقِ، وَرَأَى الرُّومَ مُجْتَمِعِينَ فَجَمَعَ المُسْلِمِينَ وَخَطَبَ فِيهِمْ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ: إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ، لاَ يَنْبَغِي فِيهِ الفَخْرُ وَلاَ البَغْيُ. أَخْلِصُوا جِهَادَكُمْ، وَأَرِيدُوا اللَّهَ بِعَمَلِكُمْ؛ فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ، وَلاَ تُقَاتِلُوا قَوْمَاً عَلَى نِظَامٍ وَتَعْبِيَةٍ، عَلَى تَسَانُدٍ وَانْتِشَارٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ لاَ يَحِلُّ وَلاَ يَنْبَغِي، وَإِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ لَوْ يَعْلَمُ عَلْمَكُمْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ هَذَا، فَاعْمَلُوا فِيمَا لَمْ تُؤْمَرُوا بِهِ بِالَّذِي تَرَوْنَهُ أَنَّهُ الرَّأْيُ مِنْ وَالِيكُمْ وَمَحَبَّتَهُ، قَالُوا: فَهَاتِ، فَمَا الرَّأْيُ؟ قَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَبْعَثْنَا إِلاَّ وَهُوَ يَرَى أَنَّنَا سَنَتَيَاسَرُ، وَلَوْ عَلِمَ بِالَّذِي كَانَ وَيَكُونُ، لَقَدْ جَمَعَكُمْ، إِنَّ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ أَشَدُّ عَلَى المُسْلِمِينَ مِمَّا غَشِيَهُمْ، وَأَنْفَعُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ أَمْدَادِهِمْ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا فَرَّقَتْ بَيْنَكُمْ، فَاللَّهَ اللَّهَ، فَقَدْ أُفْرِدَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِبَلَدٍ مِنَ البُلْدَانِ لاَ يَنْتَقِصُهُ مِنْهُ إِنْ دَانَ لأَحَدٍ مِنْ أُمَرَاءِ الجُنْدِ، وَلاَ يَزِيدُهُ عَلَيْهِ إِنْ دَانُوا لَهُ. إِنَّ تَأْمِيرَ بَعْضِكُمْ لاَ يُنْقِصُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلاَ عِنْدَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هَلُمُّوا فَإِنَّ هَؤُلاَءِ

تَهَيَّئُوا، وَهَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ، إِنْ رَدَدْنَاهُمْ إِلَى خَنْدَقِهِمُ اليَوْمَ لَمْ نَزَلْ نَرُدُّهُمْ، وَإِنْ هزَمُونَا لَمْ نُفْلِحْ بَعْدَهَا. فَهَلُمُّوا فَلْنَتَعَاوَرِ الإِمَارَةَ، فَلْيَكُنْ عَلَيْهَا بَعْضُنَا اليَوْمَ، وَالآخَرُ غَداً، وَالآخَرُ بَعْدَ غَدٍ حَتَّى يَتَأَمَّرَ كُلُّكُمْ، وَدَعُونِي إِلَيْكُمُ اليَوْمَ[1]. فَأَمَّرُوهُ.

قَسَّمَ خَالِدُ الجَيْشَ إِلَى سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ كَرْدُوساً أَوْ أَرْبَعِينَ، وَيضُمُّ كُلُّ كَرْدُوسٍ مَا يَقْرُبُ مِنْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَعَلَى كُلِّ كَرْدُوسٍ أَمِيرٌ مَعْرُوفٌ بِبَسَالَتِهِ، وَكَانَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى كَرْدُوسٍ وَلَمْ يَتَجَاوَزِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنَ العُمْرِ. وَكَانَ فِي القَلْبِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وَمَعَهُ سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ أَحَدُ العَشْرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، وَعَلَى المَيْمَنَةِ عَمْرُو بنُ العَاصِ وَمَعَهُ شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ، وَعَلَى المَيْسَرَةِ يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ.

وَجَاءَ خَالِدُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ تَقْدِيراً وَاحْتِرَاماً لِمَا لَهُ مِنْ فَضْلٍ وَسَابِقَةٍ فِي الإِسْلَامِ[2]، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي مُشِيرٌ بِأَمْرٍ، فَقَالَ: قُلْ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ أَسْمَعُ لَكَ وَأُطِيعُ، فَقَالَ لَهُ خَالِدُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ حَمْلَةٍ عَظِيمَةٍ لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَإِنِّي أَخْشَى عَلَى

---

(١) جاء خالد أميراً، وأحبّ أن يكون برغبتهم لا بالفرض عليهم رغم أن المسلمين لا يفكرون بهذا ولا يقفون عنده.

(٢) كان خالد يحترم أبا عبيدة كثيراً ويخجل منه.

المَيْمَنَةِ والمَيْسَرَةِ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُفَرِّقَ الخَيْلَ فِرْقَتَيْنِ وَأَجْعَلَهَا وَرَاءِ المَيْمَنَةِ وَالمَيْسَرَةِ حَتَّى إِذَا صَدُّوهُمْ كَانُوا لَهُمْ رِدْءاً فَنَأْتِيهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ، فَقَالَ لَهُ: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ. فَكَانَ خَالِدٌ فِي أَحَدِ الخَيْلَيْنِ مِنْ وَرَاءِ المَيْمَنَةِ، وَقَيْسُ بنُ هُبَيْرَةَ فِي الخَيْلِ الأُخْرَى، وَأَمَرَ أَبَا عُبَيْدَةَ أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنِ القَلْبِ إِلَى وَرَاءِ الجَيْشِ كُلِّهِ حَتَّى إِذَا رَآهُ المُنْهَزِمُ اسْتَحْيَى مِنْهُ وَرَجَعَ إِلَى القِتَالِ[1]، فَجَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَكَانَهُ فِي القَلْبِ سَعِيدَ بنَ زَيْدٍ، وَسَاقَ خَالِدٌ إِلَى النِّسَاءِ أَنْ يَكُنَّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ وَمَعَهُنَّ السُّيُوفُ وَغَيْرُهَا، فَقَالَ لَهُنَّ: مَنْ رَأَيْتُمُوهُ مُوَلِّيَاً فَاقْتُلْنَهُ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِخَالِدٍ يَوْمَئِذٍ: مَا أَكْثَرَ الرُّومَ وَأَقَلَّ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ خَالِدٌ: مَا أَقَلَّ الرُّومَ وَأَكْثَرَ المُسْلِمِينَ! إِنَّمَا تَكْثُرُ الجُنُودُ بِالنَّصْرِ وَتَقِلُّ بِالخُذْلَانِ، لَا بِعَدَدِ الرِّجَالِ.

عَرَضَ المُسْلِمُونَ عَلَى الأَعْدَاءِ: الإِسْلَامَ أَوِ السَّيْفَ، وَكَانَ مِنْ تَعَنُّتِ الرُّومِ أَنْ كَانَ لَابُدَّ مِنَ الحَرْبِ.

وَطَلَبَ قَائِدُ الرُّومِ (مَاهَانُ) خَالِدَاً لِيَبْرُزَ إِلَيْهِ فِيمَا بَيْنَ الصَّفَّيْنِ فَيَجْتَمِعَا فِي مَصْلَحَةٍ لَهُمْ، فَقَالَ مَاهَانُ: إِنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مَا أَخْرَجَكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ الجُهْدُ والجُوعُ، فَهَلُمُّوا إِلَى أَنْ

(١) خوفاً عليه، وتقديراً له.

أُعْطِيَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ وَكِسْوَةً وَطَعَاماً وَتَرْجِعُونَ إِلَى بِلَادِكُمْ، فَإِذَا كَانَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ بَعَثْنَا لَكُمْ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ خَالِدٌ: إِنَّهُ لَمْ يُخْرِجْنَا مِنْ بِلَادِنَا مَا ذَكَرْتَ، غَيْرَ أَنَّا قَوْمٌ نَشْرَبُ الدِّمَاءَ، وَأَنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ لَا دَمَ أَطْيَبُ مِنْ دَمِ الرُّومِ فَجِئْنَا لِذَلِكَ. فَقَالَ أَصْحَابُ مَاهَانَ: هَذَا وَاللَّهِ مَا كُنَّا نُحَدَّثُ بِهِ عَنِ العَرَبِ.

وَطَلَبَ خَالِدٌ مِنْ عِكْرِمَةَ وَالقَعْقَاعِ - وَهُمَا عَلَى مَجْنَبَتَيِ القَلْبِ - أَنْ يُنْشِبَا القِتَالَ، وَبَدَأَتِ المَعْرَكَةُ فِي أَوَائِلِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ.

حَمَلَتْ مَيْسَرَةُ الرُّومِ عَلَى مَيْمَنَةِ المُسْلِمِينَ (لِوَاءِ عَمْرِو بنِ العَاصِ) حَتَّى أَلْجَؤُوهُمْ إِلَى نَاحِيَةِ القَلْبِ، فَحَمَلَ خَالِدٌ بِالخَيْلِ عَلَى مَيْسَرَةِ الرُّومِ الَّتِي هَجَمَتْ عَلَى مَيْمَنَةِ المُسْلِمِينَ، فَأَزَالُوهُمْ إِلَى القَلْبِ، وَقَتَلَ المُسْلِمُونَ فِي حَمْلَتِهِمْ هَذِهِ سِتَّةَ آلَافٍ مِنَ الرُّومِ. ثُمَّ حَمَلَ خَالِدٌ بِمِائَةِ فَارِسٍ عَلَى مَا يَقْرُبُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ فَانْهَزَمُوا أَمَامَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَتَبِعُوهُمْ.

وَلَمَّا عَادَ المُسْلِمُونَ مِنْ حَمْلَتِهِمْ هَذِهِ جَاءَ البَرِيدُ مِنَ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ يَحْمِلُهُ مَحْمِيَةُ بنُ زُنَيْمٍ، فَأَخَذَتْهُ الخُيُولُ، وَسَأَلُوهُ

الخَبَرَ، فَلَمْ يُخْبِرْهُمْ إِلاَّ بِسَلاَمَةٍ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ أَمْدَادٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِمَوْتِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاسْتِخْلاَفِ عُمَرَ، وَتَأْمِيرِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأُخِذَ مَحْمِيَةُ بنُ زُنَيْمٍ إِلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ أَبِي بكْرٍ، فَأَسَرَّهُ إِلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي أَخْبَرَ بِهِ الجُنْدَ. قَالَ: أَحْسَنْتَ فَقِفْ، وَأَخَذَ الكِتَابَ وَجَعَلَهُ فِي كِنَانَتِهِ، وَخَافَ أَنْ يَنْتَشِرَ الخَبَرُ بَيْنَ الجُنْدِ. وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ.

وَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ صُفُوفِ الرُّومِ أَحَدُ أُمَرَائِهِمُ الكِبَارُ، وَهُوَ (جَرْجَةُ)، وَاسْتَدْعَى خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ إِلَى بَيْنِ الصُّفُوفِ حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ فَرَسَيْهِمَا، وَمَحْمِيَةُ بنُ زُنَيْمٍ حَامِلُ البَرِيدِ وَاقِفٌ مَعَهُمَا ـ بِأَمْرِ خَالِدٍ ـ فَقَالَ (جَرْجَةُ): يَا خَالِدُ أَخْبِرْنِي فَاصْدُقْنِي وَلاَ تَكْذِبْنِي، فَإِنَّ الحُرَّ لاَ يَكْذِبُ، وَلاَ تُخَادِعْنِي فَإِنَّ الكَرِيمَ لاَ يُخَادِعُ المُسْتَرْسِلَ بِاللَّهِ، هَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ سَيْفاً مِنَ السَّمَاءِ فَأَعْطَاكَهُ فَلاَ تَسُلُّهُ عَلَى أَحَدٍ إِلاَّ هَزَمْتَهُمْ[1]؟.

قَالَ: لاَ.

قَالَ: فَبِمَ سُمِّيتَ سَيْفَ اللَّهِ؟

---

(١) يعطي هذا الصورة الحقيقية عن خوف الرّوم من المسلمين عامةً، ومن قيادة خالدٍ خاصةً، وهذا ما أضعف الرّوح المعنوية عندهم، فأذلّهم اللّه ونصر عباده المؤمنين.

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ فِيْنَا نَبِيَّهُ فَدَعَانَا فَنفَرْنَا مِنْهُ وَنَأَيْنا عَنْهُ جَمِيعَاً، ثُمَّ إِنَّ بَعْضَنَا صَدَّقَهُ وَتَابَعَهُ، وَبَعْضَنا كَذَّبَهُ وَباعَدَهُ، فَكُنْتُ فِيْمَنَ كَذَّبَهُ وَباعَدَهُ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَخذَ بِقُلُوبِنا وَنَوَاحِينَا فَهَدَانَا بِهِ وَبَايَعْنَاهُ، فقَالَ لِي أَنْتَ سَيْفُ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَدَعَا لِي بِالنَّصْرِ، فَسُمِّيتُ سَيْفَ اللَّهِ بِذَلِكَ، فَأَنَا أَشَدُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ.

فقَالَ (جَرْجَةُ): يَا خَالِدُ إِلَى مَا تَدْعُونَ؟.

قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَالإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ: فَمَنْ لَمْ يُجِبْكُمْ؟.

قَالَ: الجِزْيَةُ وَنَمْنَعُهُمْ.

قَالَ: فَإِنْ لَمْ يُعْطِهَا؟.

قَالَ: نُؤْذِنُهُ بِالحَرْبِ ثُمَّ نُقَاتِلُهُ.

قَالَ: فَمَا مَنْزِلَةُ مَنْ يُجِيبُكُمْ وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الأَمْرِ اليَوْمَ؟.

قَالَ: مَنْزِلَتُنَا وَاحِدَةٌ فِيْمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا، شَرِيفُنَا وَوَضِيعُنَا وَأَوَّلُنَا وَآخِرُنَا.

قَالَ جَرْجَة: فَلِمَنْ دَخَلَ فِيْكُمُ اليَوْمَ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ مَا لَكُمْ مِنَ

الأَجْرِ وَالذُّخْرِ؟.

قَالَ: نَعَمْ، وَأَفْضَلُ.

قَالَ: وَكَيْفَ يُسَاوِيكُمْ، وَقَدْ سَبَقْتُمُوهُ؟.

فَقَالَ خَالِدٌ: إِنَّا قَبِلْنَا هَذَا الأَمْرَ عَنْهُ، وَبَايَعْنَا نَبِيَّنَا وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا تَأْتِيهِ أَخْبَارُ السَّمَاءِ، وَيُخْبِرُنَا بِالكِتَابِ، وَيُرِينَا الآيَاتِ، وَحَقَّ لِمَنْ رَأَى مَا رَأَيْنَا، وَسَمِعَ مَا سَمِعْنَا أَنْ يُسْلِمَ وَيُبَايِعَ، وَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ لَمْ تَرَوْا مَا رَأَيْنَا، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا سَمِعْنَا مِنَ العَجَائِبِ وَالحُجَجِ، فَمَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الأَمْرِ مِنْكُمْ بِحَقِيقَةٍ وَنِيَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنَّا.

فَقَالَ جَرْجَه: بِاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتَنِي وَلَمْ تُخَادِعْنِي؟.

قَالَ: تَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتُكَ، وَأَنَّ اللَّهَ وَلِيُّ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ.

فَقَلَبَ جَرْجَهْ التُّرْسَ، وَمَالَ مَعَ خَالِدٍ، وَقَالَ: عَلِّمْنِي الإِسْلاَمَ، فَمَالَ بِهِ خَالِدٌ إِلَى فِسْطَاطِهِ فَسَنَّ عَلَيْهِ قِرْبَةً مِنْ مَاءٍ ثُمَّ صَلَّى بِهِ رَكْعَتَيْنِ.

وَذَهَبَ خَالِدٌ، وَمَعَهُ مَحْمِيَةُ بنُ زُنَيْمٍ، إِلى أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، وَأَخْبَرَهُ الخَبَرَ، فَتَرَحَّمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَتَرَضَّى عَنْهُ، وَطَلَبَ مِنْ خَالِدٍ أَنْ يَكْتُمَ الخَبَرَ حَتَّى نِهَايَةِ المَعْرَكَةِ، وَأَنْ يَبْقَى

عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ القِيَادَةِ[1].

حَمَلَ الرُّومُ بَعْدَ ذَلِكَ حَمْلَةً شَدِيدَةً أَزَالُوا بِهَا المُسْلِمِينَ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ إِلَى المُدَافِعِينَ. وَحَمَلَ خَالِدٌ و(جَرْجَـةُ) بِالمُسْلِمِينَ عَلَى الرُّومِ حَتَّى هَزَمُوهُمْ ـ بِإِذْنِ اللَّهِ ـ وَصَلَّى المُسْلِمُونَ يَوْمَذَاكَ صَلَاةَ الظُّهْرِ والعَصْرِ إِيمَاءً وَأَخَّرُوا صَلَاةَ العِشَاءَيْنِ، وَفَرَّ الرُّومُ، وَاسْتُشْهِدَ (جَرْجَه) قُبَيْلَ الغُرُوبِ، وَلَمْ يُصَلِّ إِلَّا رَكْعَتَيْنِ.

وَانْتَقَلَتِ الإِمْرَةُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ فَسَارَ بِالجَيْشِ إِلَى مَرْجِ الصُّفَّرِ وَجَاءَهُ الخَبَرُ أَن الـرُّومَ قَدْ تَجَمَّعُوا بِـ (فِحْلَ) فِي غَوْرِ الأُرْدُنِ، فَتَوَقَّفَ لَا يَدْرِي بِأَيِّ الأَمْرَيْنِ يَبْدَأُ، أَبِدِمَشْقَ لِيَتَرَكَّزَ المُسْلِمُونَ فِيْهَا أَمْ يَعُودُ إِلَى (فِحْلَ)؟ فَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ يَصِفُ لَهُ المَوْقِفَ وَيَسْتَشِيرُهُ بِالأَمْرِ، فَجَاءَ الأَمْرُ مِنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، أَنِ ابْدَأْ بِدِمَشْقَ فَإِنَّهَا حِصْنُ الشَّامِ وَبَيْتُ مَمْلَكَتِهِمْ، فَانْهَدْ لَهَا، وَأَشْغِلُوا عَنْكُمْ أَهْلَ (فِحْلَ) بِخُيُولٍ تَكُونُ تِلْقَاءَهُمْ، فَإِنْ فَتَحَهَا اللَّهُ قَبْلَ دِمَشْقَ فَذَلِكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ فُتِحَتْ دِمَشْقُ قَبْلَهَا، فَسِرْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ وَاسْتَخْلِفْ عَلَى دِمَشْقَ. فَإِذَا

(١) كان خالد يجلّ أبا عبيدة كثيرا لما له من فضلٍ وسابقةٍ في الإسلام، ويستشيره في كل أمرٍ ويعدّه الرئيس له، وإن كان هو القائد، فلم يتغير إذن شيء، فالإمرة لأبي عبيدة.

فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ (فِحْلَ) فَسِرْ أَنتَ وَخَالِدٌ إِلَى حِمْصَ، وَاتْرُكْ عَمْراً وَشُرَحْبِيلَ عَلَى الأُرْدُنِ وَفِلِسْطِينَ.

٢ ـ فَتْحُ دِمَشْقَ:

سَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِاتِّجَاهِ دِمَشْقَ، وَقَدْ جَعَلَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ فِي القَلْبِ، وَسَارَ هُوَ فِي المَيْسَرَةِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَمَشَى عَمْرُو بنُ العَاصِ فِي المَيْمَنَةِ، وَشُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ عَلَى الرِّجَّالَةِ، وَعِيَاضُ بنُ غَنْمٍ عَلَى الخَيْلِ. وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ بَعَثَ (ذَا الكِلاَعِ) فِي فِرْقَةٍ لِتُرَابِطَ بَيْنَ دِمَشْقَ وَحِمْصَ لِتَحُولَ دُونَ وُصُولِ الإِمْدَادَاتِ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ، كَمَا وَضَعَ (أَبَا الدَرْدَاءِ) فِي فِرْقَةٍ أُخْرَى لِتَكُونَ فِي (بَرْزَةَ) عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ دِمَشْقَ رِدْءاً لِلْجَيْشِ الإِسْلاَمِيِّ الَّذِي يُحَاصِرُ دِمَشْقَ. وَبَعَثَ أَبَا أُمَامَةَ البَاهِلِيَّ طَلِيعَةً مَعَ ثَلاَثَةِ عَنَاصِرَ.

انْطَلَقَ الجَيْشُ الإِسْلاَمِيُّ نَحْوَ دِمَشْقَ، فَدَخَلَ الغُوطَةَ وَاحْتَلَّهَا كَيْ لاَ يَأْمَلَ أَهْلُ دِمَشْقَ بِمُسَاعَدَاتٍ وَتَمْوِينَاتٍ مِنْهَا، وَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّرْقِ، فَتَوَزَّعَ يُحَاصِرُهَا حَسْبَ التَّشْكِيلِ الَّذِي يَسِيرُ عَلَيْهِ، فَتَوَقَّفَ خَالِدٌ، وَهُوَ فِي القَلْبِ، عَلَى البَابِ الشَّرْقِيِّ وَحَتَّى بَابِ كَيْسَانَ، وَسَارَتِ المَيْسَرَةُ جُنُوبَ دِمَشْقَ، فَنَزَلَ يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى البَابِ الصَّغِيرِ وَإِلَى بَابِ

كَيْسَانَ، وَنَزَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى بَابِ الجَابِيَةِ مِنْ جِهَةِ الغَرْبِ وَحَتَّى البَابِ الصَّغِيرِ، وَسَارَتِ المَيْمَنَةُ عَلَى شَمَالِي دِمَشْقَ فَنَزَلَ عَمْرُو بنُ العَاصِ عَلَى بَابِ تُومَا، وَنَزَلَ شُرَحْبِيلُ عَلَى بَابِ الفَرَادِيسِ وَبَابِ السَّلَامِ.

اسْتَمَرَّ حِصَارُ دِمَشْقَ عِدَّةَ أَشْهُرٍ، وَشَعَرَ أَهْلُهَا أَنَّ الإِمْدَادَاتِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ، وَجَاءَ وَقْتُ البَرْدِ، وَكَانَ قَاسِياً، فَصَعُبَ القِتَالُ، وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي وُلِدَ لِبِطْرِيقِ المَدِينَةِ مَوْلُودٌ، فَأَقَامَ وَلِيمَةً لِلنَّاسِ وَالجُنْدِ، فَبَاتُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ سُكَارَى، وَشَعَرَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ ذَلِكَ مِنْ ضَعْفِ قِتَالِ الَّذِينَ فَوْقَ الأَسْوَارِ، وَقِلَّةِ حَرَكَةِ النَّاسِ عَامَّةً، كَمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ مَعْلُومَاتٌ مِنَ العُيُونِ تُؤَيِّدُ ذَلِكَ، وَهُوَ عَلَى عَيْنٍ يَقِظَةٍ لَا يَنَامُ وَلَا يَفْسَحُ مَجَالاً لِنَوْمِ الآخَرِينَ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ سَلَالِمُ مُهَيَّأَةٌ، فَاسْتَدْعَى بَعْضَ صَنَادِيدِ المُسْلِمِينَ مِمَّنْ مَعَهُ، وَأَحْضَرَ جُنْدَهُ عِنْدَ البَابِ، وَقَالَ لَهُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَوْقَ الأَسْوَارِ فَارْقَوْا إِلَيْنَا، ثُمَّ قَطَعَ الخَنْدَقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ سِبَاحَةً وَقَدْ وَضَعُوا قُرَباً فِي أَعْنَاقِهِمْ تُسَاعِدُهُمْ عَلَى السِّبَاحَةِ[1]، وَأَثْبَتَ خَالِدُ وَصَحْبُهُ السَّلَالِمَ عَلَى شُرُفَاتِ

---

(١) كانت خنادق مليئةً بالماء تحيط بدمشق عدا الجهة الشمالية حيث كان نهر بردى هناك يعد بمثابة الخندق، وكان السور يتعرج على ضفافه حسب =

السُّــورِ، وَصَعَدُوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا صَارُوا أَعْلَى السُّورِ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ لإِرْهَابِ العَدُوِّ وَنَزَلُوا عَلَى حُرَّاسِ البَابِ فَقَتَلُوهُمْ، وَفَتَحُوا البَابَ عَنْوَةً، وَانْدَفَعَ الجُنْدُ مِنَ البَابِ إِلَى الدَّاخِلِ.

وَانْطَلَقَ خَالِدُ مَعَ جُنْدِهِ دَاخِلَ المَدِينَةِ يَقْتُلُونَ مَنْ يَقِفُ فِي وَجْهِهِمْ، وَيَتَّجِهُونَ نَحْوَ مَرْكَزِ المَدِينَةِ، وَأَسْرَعَ الوُجَهَاءُ نَحْوَ بَقِيَّةِ الأَبْوَابِ وَخَاصَّةً نَحْوَ بَابِ الجَابِيَةِ فِي الغَرْبِ حَيْثُ يُرَابِطُ أَبُو عُبَيْدَةَ، خَوْفاً مِنْ أَنْ يَنَالَهُمُ القَتْلُ، فَيُعْلِنُونَ الاسْتِسْلاَمَ وَفَتْحَ مَدِينَتِهِمْ، وَطَلَبَ الصُّلْحِ، وَدَخَلَ بَقِيَّةُ قَادَةِ المُسْلِمِينَ وَجُيُوشُهُمْ مِنَ الأَبْوَابِ الأُخْرَى صُلْحاً يَتَّجِهُونَ نَحْوَ وَسَطِ المَدِينَةِ، وَالتَقَوْا فِي مَرْكَزِهَا، خَالِدُ يُعْمِلُ السَّيْفَ، وَهُمْ فِي السِّلْمِ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ إِنَّ القَوْمَ قَدِ اسْتَسْلَمُوا، وَطَلَبُوا الصُّلْحَ، وَفَتَحُوا لَنَا الأَبْوَابَ، وَدَخَلْنَا سِلْماً. فَقَالَ لَهُمْ: وَإِنَّمَا دَخَلْتُ أَنَا وَمَنْ مَعِيَ المَدِينَةَ عَنْوَةً، وَلَمْ يَزَلْ يُعْمِلُ السَّيْفَ حَتَّى طَلَبَ مِنْهُ أَبُو عُبَيْدَةَ الكَفَّ عَنْ ذَلِكَ.

بَعْدَ فَتْحِ دِمَشْقَ طَلَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنْ يُسَيِّرَ بَعْضَ جُنْدِ العِرَاقِ الَّذِينَ جَاءُوا مِنهَا مَعَ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ،

= المجرى على حين كانت الأسوار في الجهات الأخرى تسير بشكلٍ مستقيمٍ.

لِيَدْعَمُوا الفَاتِحِينَ فِيْهَا، فَسَيَّرَهُمْ بِإِمْرَةِ هَاشِمِ بنِ عُتْبَةَ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ.

وَوَلَّى أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى دِمَشْقَ يَزِيدَ بنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَسَيَّرَ عَمْرَو بنَ العَاصِ إِلَى فِلِسْطِينَ، وَشُرَحْبِيلَ بنَ حَسَنَةَ إِلَى الأُرْدُنِ، أَيْ سَارَ كُلٌّ مِنَ الأُمَرَاءِ إِلَى المَنْطقَةِ الَّتِي كَانَتْ وِجْهَتُهُ الأُوْلَى إِلَيْهَا.

٣ - فِي البِقَاعِ:

أَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى البِقَاعِ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ، فَسَارَ إِلَى بَعْلَبَكَّ، وَصَالَحَ أَهْلَهَا. وَلَكِنْ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ عَادَ لِأَنَّ أَحَدَ البَطَارِقَةِ قَدْ وَصَلَ إِلَى مَرْجِ الرُّومِ، وَيُدْعَى (تُوذَرَا) وَذَلِكَ بِأَمْرِ هِرَقْلَ.

٤ - فِي مَرْجِ الرُّومِ:

كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَدْ سَارَ إِلَى الشَّمَالِ، وَوَصَلَ إِلَى آخِرِ الثَّنَايَا (ثَنْيَةِ العِقَابِ) حَيْثُ يُرَابِطُ (ذُو الكِلَاعِ) وَهُنَاكَ جَاءَهُ خَبَرُ البِطْرِيقِ (تُوذَرَا) فَرَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ، وَخَرَجَ مِنْهَا إِلَيْهِ، فَالْتَقَى بِهِ فِي مَرْجِ الرُّومِ (مَنْطِقَةِ الصَّبُورَةِ اليَوْمَ أَوْ مَا يُعْرَفُ فِي دِمَشْقَ بِاسْمِ الصَّحْرَاءِ)، وَكَانَ خَالِدٌ قَدْ جَاءَ مِنَ الخَلْفِ أَيْضاً، وَجَرَى

القِتَالُ، وَقَتَلَ خَالِدُ (تُوذْرَا)، وَلَمْ يَنْجُ مِنَ الرُّومِ إِلَّا مَنْ شَرَدَ، وَجَاءَ بِطْرِيقٌ آخَرُ كَانَ كَمِيناً، وَيُدْعَى (شِنْس) فَقَتَلَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَفَرَّ أَتْبَاعُهُ نَحْوَ حِمْصَ.

٥ - فِي حِمْصَ:

سَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى حِمْصَ، وَتَبِعَهُ خَالِدٌ فَحَاصَرَاهَا مَعاً، وَطَالَ الحِصَارُ، وَجَاءَ فَصْلُ الشِّتَاءِ، وَكَانَ شَدِيدَ البَرْدِ، فَصَبَرَ الصَّحَابَةُ صَبْرَاً عَظِيمَاً، وَاشْتَدَّ الحِصَارُ بِانْقِضَاءِ الفَصْلِ البَارِدِ، فَضَاقَ الأَمْرُ عَلَى الأَهَالِي فَأَجْبَرُوا المَسْؤُولِينَ عَلَى الاسْتِسْلَامِ وَطَلَبِ الصُّلْحِ، حَسْبَ صُلْحِ دِمَشْقَ، وَهُوَ نِصْفُ المَنَازِلِ، وَضَرْبِ الخَرَاجِ عَلَى الأَرْضِ، وَأَخْذِ الجِزْيَةِ عَلَى الرِّقَابِ حَسْبَ الغِنَى والفَقْرِ، وَقَدْ تَمَّ الصُّلْحُ، وَأَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ الأَخْمَاسَ والبِشَارَةَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ مَعَ عَبْدِاللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ، كَمَا طَلَبَ مِنْهُ الرَّأْيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هِرَقْلَ، فَجَاءَهُ الجَوَابُ بِبَقَاءِ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي حِمْصَ، وَإِرْسَالِ القُوَّاتِ لِفَتْحِ مُخْتَلَفِ الجِهَاتِ.

٦ - فِي قِنَّسْرِينَ:

أَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى قِنَّسْرِينَ فِي جَنُوبِ حَلَبَ خَالِدَ بنَ

الوَلِيدِ، فَقَاتَلَ أَهْلَهَا بَعْدَ حِصَارٍ فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ عَادُوا فَنَقَضُوا العَهْدَ، وَتَحَصَّنُوا فِي مَدِينَتِهِمْ فَدَخَلَهَا عَنْوَةً، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنَ الهِجْرَةِ.

٧ ـ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ:

فَتَحَ المُسْلِمُونَ (أَجْنَادِينَ) بِقِيَادَةِ عَمْرِو بنِ العَاصِ، وَاتَّجَهُوا نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ وَجَدُوا مُقَاوَمَةً عَنِيفَةً مِنَ الرُّومِ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ دَحْرِهَا الأَمْرُ الَّذِي اسْتَدْعَى تَجَمُّعَ الجُيُوشِ الإِسْلَامِيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى، فَتَوَلَّى أَمْرَ دِمَشْقَ سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ، وَتَحَرَّكَتِ الجُيُوشُ مَعَ قَادَتِهَا نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ فَفَرَضُوا عَلَيْهَا الحِصَارَ، وَضَيَّقُوا عَلَى أَهْلِهَا حَتَّى طَلَبُوا الصُّلْحَ شَرِيطَةَ أَلَّا يُسَلِّمُوا مَدِينَتَهُمْ إِلَّا إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، فَأَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَسْتَشِيرُهُ فَوَافَقَ، وَجَاءَ فَنَزَلَ الجَابِيَةَ فَاسْتَقْبَلَهُ فِيهَا القَادَةُ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَخَالِدٌ، وَيَزِيدُ، وَمِنْهَا سَارَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، وَدَخَلَهَا، وَكَانَ خَالِدٌ مِمَّنْ شَهِدَ عَلَى الصُّلْحِ مَعَ عَمْرِو بنِ العَاصِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وَمُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ الَّذِي كَتَبَ الصُّلْحَ.

٨ ـ فَتْحُ حِمْصَ ثَانِيَةً:

لَمَّا رَجَعَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَى المَدِينَةِ،

وَدَخلَ المُسْلِمُونَ بَيْتَ المَقْدِسِ عَادَ كُلُّ قَائِدٍ إِلَى مَقَرِّهِ، فَرَجَعَ خَالِدٌ إِلَى قِنَّسْرِينَ، غَيْرَ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ لَمْ يَلْبَثْ أَنِ اسْتَدْعَاهُ إِلَى حِمْصَ لِمُسَاعَدَتِهِ حَيْثُ جَاءَ الرُّومُ وَحَاصَرُوهُ فِيْهَا، فَطَلَبَ مِنْ خَالِدٍ نَجْدَتَهُ فَجَاءَهُ. وَاسْتَشَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ المُسْلِمِينَ، هَلْ يَتَحَصَّنُ فِي المَدِينَةِ أَمْ يَخْرُجُ إِلَى قِتَالِ الرُّومِ خَارِجَهَا؟ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِالتَّحَصُّنِ فَيْهَا إِلَّا خَالِدَاً فَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالخُرُوجِ وَقِتَالِ الأَعْدَاءِ خَارِجَ البِنَاءِ، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِرَأْيِ الآخَرِينَ وَتَحَصَّنَ فِي حِمْصَ، وَأَخْبَرَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا وَقَعَ.

كَتَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ إِلَى سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي العِرَاقِ يَطْلُبُ مِنْهُ إِرْسَالَ دَعْمٍ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بِقِيَادَةِ القَعْقَاعِ بنِ عَمْرٍو، وَإِرْسَالِ عِيَاضِ بنِ غَنْمٍ لِفَتْحِ مُدُنِ الجَزِيرَةِ وَهَذَا مَا يَجْعَلُ أَهْلَ تِلْكَ المُدُنِ يُغَادِرُونَ مَوَاقِعَهُمْ فِي حِمْصَ، وَهَذَا مَا تَمَّ، وَسَارَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ بِنَفْسِهِ عَلَى رَأْسِ قُوَّةٍ لِدَعْمِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَوَصَلَ إِلَى الجَابِيَةِ.

وَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ، وَدَخَلُوا حِمْصَ، وَطَرَدُوا الرُّومَ مِنْهَا قَبْلَ وُصُولِ القَعْقَاعِ بِدَعْمِ العِرَاقِ، وَقَبْلَ أَنْ يَتَخَطَّى أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ الجَابِيَةَ بِنَجْدَةِ المَدِينَةِ. وَعَادَ خَالِدٌ إِلَى قِنَّسْرِينَ مَقَرَّ إِمَارَتِهِ.

عَزْلُ خالِدٍ

أَغَارَ خَالِدٌ عَلَى الرُّومِ فَغَنَمَ أَمْوَالاً عَظِيمَةً وَأَخَذَ سَبْيَاً كَثِيراً، وَلَمَّا رَجَعَ مِنْ غَارَتِهِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ يَبْغُونَ عَطَاءَهُ، وَكَانَ مِمَّنْ دَخَلَ عَلَيْهِ الأَشْعَثُ بنُ قَيْسٍ الكِنْدِيُّ. وَكَانَ عُمَرُ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي عَمَلِهِ، كُتِبَ إِلَيْهِ مِنَ العِرَاقِ بِخُرُوجِ مَنْ خَرَجَ، وَمِنَ الشَّامِ بِجَائِزَةِ مَنْ أُجِيزَ فِيْهَا، فَدَعَا البَرِيدَ، وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ أَنْ يُقِيمَ خَالِدَاً وَيَعْقِلَهُ بِعِمَامَتِهِ، وَيَنْزِعَ عَنْهُ قَلَنْسُوَتَهُ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ مِنَ أَيْنَ إِجَازَةُ الأَشْعَثِ، أَمِنْ مَالِهِ أَمْ مِنْ إِصَابَةٍ أَصَابَهَا؟ فَإِنْ زَعَمَ أَنَّهَا مِنْ إِصَابَةٍ أَصَابَهَا فَقَدْ أَقَرَّ بِخِيَانَةٍ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهَا مِنْ مَالِهِ فَقَدْ أَسْرَفَ. وَاعْزِلْهُ عَلَى كُلِّ حالٍ، وَاضْمُمْ إِلَيْكَ عَمَلَهُ. فَكَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى خَالِدٍ فَقَدِمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَمَعَ النَّاسَ وَجَلَسَ لَهُمْ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَامَ البَرِيدُ، فَقَالَ: يَا خَالِدُ، أَمِنْ مَالِكَ أَجْزْتَ بِعَشْرَةِ آلَافٍ أَمْ مِنْ إِصَابَةٍ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ حَتَّى أَكْثَرَ عَلَيْهِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ سَاكِتٌ لَا يَقُولُ شَيْئَاً، فَقَامَ بِلَالُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَ فِيكَ بِكَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَنَاوَلَ قَلَنْسُوَتَهُ فَعَقَلَهُ بِعِمَامَتِهِ وَقَالَ: مَا تَقُولُ، أَمِنْ مَالِكَ أَمْ مِنْ إِصَابَةٍ؟ قَالَ: لَا بَلْ مِنْ مَالِي، فَأَطْلَقَهُ، وَأَعَادَ قَلَنْسُوَتَهُ ثُمَّ عَمَّمَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَسْمَعُ وَنُطِيعُ لِوُلَاتِنَا، وَنُفَخِّمُ وَنَخْدُمُ مَوَالِينَا.

وَأَقَامَ خَالِدٌ مُتَحَيِّرَاً لاَ يَدْرِي أَمَعْزُولٌ أَمْ غَيْرُ مَعْزُولٍ، وَجَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ لاَ يُخْبِرُهُ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَى عُمَرَ أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْهِ ظَنَّ الَّذِيْ كَانَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِالإِقْبَالِ، فَأَتَى خَالِدٌ أَبَا عُبَيْدَةَ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ، مَا أَرَدْتَ إِلَى مَا صَنَعْتَ، كَتَمْتَنِي أَمْرَاً كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَعْلَمَهُ قَبْلَ اليَوْمِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لأُرَوِّعَكَ مَا وَجَدْتُ لِذَلِكَ بُدَّاً، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ يُرَوِّعُكَ. فَرَجَعَ خَالِدٌ إِلَى قِنَّسْرِينَ، فَخَطَبَ أَهْلَ عَمَلِهِ وَوَدَّعَهُمْ وَتَحَمَّلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى حِمْصَ فَخَطَبَهُمْ وَوَدَّعَهُمْ، ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ المَدِينَةِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عُمَرَ، فَشَكَاهُ وَقَالَ: لَقَدْ شَكَوْتُكَ إِلَى المُسْلِمِينَ، وَبِاللَّهِ إِنَّكَ فِي أَمْرِي غَيْرُ مُجْمِلٍ يَا عُمَرُ، فَقَالَ عُمَرُ: مِنْ أَيْنَ هَذَا الثَّرَاءُ؟ قَالَ: مِنَ الأَنْفَالِ وَالسُّهْمَانِ، مِمَّا زَادَ عَلَى السِّتِّينَ أَلْفَاً فَلَكَ. فَقَوَّمَ عُمَرُ عُرُوضَهُ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ عِشْرُونَ أَلْفَاً، فَأَدْخَلَهَا بَيْتَ المَالِ. ثُمَّ قَالَ: يَا خَالِدُ، وَاللَّهِ إِنَّكَ عَلَيَّ لَكَرِيمٌ، وَإِنَّكَ إِلَيَّ لَحَبِيبٌ، وَلَن تُعَاتِبُنِي بَعْدَ اليَوْمِ عَلَى شَيْءٍ.

وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى الأَمْصَارِ: إِنِّي لَمْ أَعْزِلْ خَالِدَاً عَنْ سُخْطَةٍ وَلاَ خِيَانَةٍ، وَلَكِنَّ النَّاسَ فُتِنُوا بِهِ، فَخِفْتُ أَنْ يُوَكِّلُوا إِلَيْهِ وَيُبْتَلُوا بِهِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الصَّانِعُ، وَأَلَّا يَكُونُوا بِعَرَضٍ

فِتْنَةٍ[1].

كَلِمَةٌ:

تَحدَّثَ المُؤَرِّخُونَ عَنْ عَزْلِ خَالِدٍ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ بَعِيدَاً حَتَّى زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ كُرْهَ عُمَرَ لِخَالِدٍ إِنَّما يَرْجِعْ إِلَى سِنِّ الشَّبَابِ عِنْدَمَا تَصارَعَ عُمَرُ وَخَالِدٌ فَصَرَعَ خَالِدٌ عُمَرَ وَكَسَرَ رِجْلَهُ، وَاخْتَرَعُوا قَصَصَاً مِنْ هَذَا النَّوْعِ، وَأَوْجَدُوا حَوادِثَ لَا يَرْقَى أَقْوَاهَا إِلَى دَرَجَةِ الضَّعْفِ وَإِنَّمَا تَتَهَاوَى عِنْدَ البَحْثِ فِيْهَا. وَهَؤُلَاءِ وَأَمْثَالُهُمْ مِنَ العُظَمَاءِ لَا يَبْقَى فِي أَذْهَانِهِمْ مَا خَلَّفَهُ المَاضِي البَعِيدُ، وَقَدْ دَاسُوهُ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ، وَأَنِفُوا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ جَمَعَهُمُ الإِسْلَامُ وَضَمَّهُمْ تَحْتَ لِوَائِهِ فَتَصَافُّوا وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ.

وَتَكَلَّمُوا فِي قَتْلِ مَالِكِ بنِ نُوَيْرَةَ وَالزَّوَاجِ مِنِ امْرَأَتِهِ أُمِّ تَمِيمٍ وَتَحَدَّثَ عُمَرُ أَيْضَاً فِي هَذَا وَلَكِنْ لَيْسَ بِالشَّكْلِ الَّذِي دَوَّنَهُ بَعْضُ المُدَوِّنِينَ. كَمَا قَالُوا وَقَالُوا فِي بَنِي جَذِيمَةَ عِنْدَمَا بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَيَجِبُ أَنْ نَنْظُرَ فِي نُقْطَتَيْنِ:

---

(١) تاريخ الطبري ـ الجزء الرابع.

أَوْلًا:

إِنَّ عُمَرَ كَانَ يُحِبُّ خَالِدَاً، وَلْنَنْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ لَهُ: «يَا خَالِدُ، وَاللَّهِ إِنَّكَ عَلَيَّ لَكَرِيمٌ، وَإِنَّكَ إِلَيَّ لَحَبِيبٌ»، يُحِبُّهُ أَخَاً فِي اللَّهِ، وَيُحِبُّهُ لِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَهُ، وَيُحِبُّهُ قَائِدَاً مُظَفَّرَاً، وَفَاتِحَاً مُوَفَّقَاً، وَمُجَاهِدَاً نَاجِحَاً، وَمُحَارِبَاً خَبِيرَاً، وَمُؤْمِنَاً قَوِيَّ الإِيمَانِ.

وَإِنَّ خَالِدَاً يُحِبُّ عُمَرَ، يُحِبُّهُ أَخَاً فِي اللَّهِ، وَيَعْرِفُ فَضْلَهُ وَسَابِقَتَهُ عَلَيْهِ، وَتَقْدِيرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَهُ، وَيَعْرِفُ أَنَّ مِنْ وَاجِبِهِ طَاعَتَهُ مَا دَامَ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَسْؤُولُ عَنْهُ وَعَنِ الرَّعِيَّةِ.

وَإِنَّ هَذَا الْحُبَّ وَمَصْلَحَةَ الأُمَّةِ هُمَا اللَّذَانِ يَضَعَانِ كُلَّ إِنْسَانٍ فِي مَكَانِهِ الْمُنَاسِبِ، وَمِنْ خِلَالِهِمَا يَكُونُ التَّحَرُّكُ وَتَنَقُّلُ الرِّجَالِ.

ثَانِيَاً:

وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يُعْزَلَ خَالِدٌ عَنِ القِيَادَةِ، وَقَدْ كَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ فِي عَزْلِهِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَذَلِكَ لِـ:

١ ـ طَبِيعَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ الَّذِي لَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ القَائِدُ

حَدِيثَ النَّاسِ ، سَوَاءٌ أَكَانَ الحَدِيثُ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَإِقْدَامِهِ أَمْ عَنْ أُمُورٍ لَمْ يُحْسِنِ التَّصَرُّفَ بِهَا، وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ عَنْ خَالِدٍ فِي هَذَا الجَانِبِ، وَفِي ذَاكَ.

٢ ـ تَفْضِيلِ عُمَرَ لِلسَّابِقِينَ فِي الإِسْلَامِ وَتَسْلِيمِهِمُ القِيَادَةَ، فَأَبُو عُبَيْدَةَ أَفْضَلُ مِنْ خَالِدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلَهُ فَضْلُ السَّابِقَةِ، وَلَهُ كَثِيرٌ مِنْ مَيِّزَاتِ خَالِدٍ فِي القِيَادَةِ مِنْ شَجَاعَةٍ، وَحِكْمَةٍ، وَتَدْبِيرٍ، وَيَفُوقُهُ بِشَدَّةِ البَأْسِ ، وَيَقِلُّ عَنْهُ فِي خِفَّةِ الحَرَكَةِ سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ فِي مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ (المُنَاوَرَةِ) أَمْ خَارِجَ المَعْرَكَةِ فِي الانْتِقَالِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ.

وَلِهَذَيْنِ السَّبَبَيْنِ كَانَ عُمَرُ يَطْلُبُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ عَزْلَ خَالِدٍ وَتَوْلِيَةِ غَيْرِهِ، فَلَمَّا آلَ إِلَيْهِ الأَمْرُ عَزَلَهُ وَأَعْطَى القِيَادَةَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ مِنْ غَيْرِ كُرْهٍ لِخَالِدٍ وَمِنْ غَيْرِ مَأْخَذٍ يَأْخُذُهُ عَلَيْهِ.

٣ ـ افْتِتَانِ بَعْضِ النَّاسِ بِإِقْدَامِ خَالِدٍ وَشَجَاعَتِهِ وَاقْتِحَامِهِ حُصُونَ الأَعْدَاءِ، وَالتَّوَغُّلِ فِي أَرْضِهِمْ، حَتَّى أَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يَرْغَبُ الجِهَادَ إِلَّا تَحْتَ لِوَاءِ خَالِدٍ، وَهَذَا لَهُ خَطَرُهُ فَالجَبْهَاتُ مُتَعَدِّدَةٌ، وَالجُيُوشُ كَثِيرَةٌ، وَمَيْدَانُ الجِهَادِ فَسِيحٌ، وَكَيْفَ يُمْكِنُ تَحْرِيكُ خَالِدٍ إِلَى كُلِّ جِهَةٍ؟.

وَحَتَّى الأَعْدَاءَ أَصْبَحُوا يَخْشَوْنَ سَطْوَةَ خَالِدٍ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ،

وَيُرِيدُ عُمَرُ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ جَمِيعاً أَنَّ المُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ مِثْلُ خَالِدٍ. وَقَدْ لاَحَظْنَا هَذَا فِي سُؤَالِ (جَرْجَة) لَهُ: «هَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ سَيْفَاً مِنَ السَّمَاءِ فَأَعْطَاكَهُ فَلاَ تَسُلُّهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا هَزَمْتَهُمْ؟»، وَيَبْدُو أَثَرُ هَذَا عَلَى عُمَرَ فِيْمَا كَتَبَهُ إِلَى الأَمْصَارِ: «إِنِّي لَمْ أَعْزِلْ خَالِدَاً عَنْ سُخْطَةٍ وَلاَ خِيَانَةٍ وَلَكِنَّ النَّاسَ فُتِنُوا بِهِ، فَخِفْتُ أَنْ يُوَكِّلُوا إِلَيْهِ وَيَبْتَلُوا بِهِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الصَّانِعُ، وَأَلَّا يَكُونُوا بِعَرَضِ فِتْنَةٍ».

٤ ـ وَأَخِيراً فَإِنَّ عُمَرَ أَرَادَ أَنْ يُعْطِيَ دَرْسَاً لِلدُّنْيَا كُلِّهَا وَلِلْمُسْلِمِينَ خَاصَّةً أَنَّ القَائِدَ مَهْمَا عَلاَ اسْمُهُ، وَمَهْمَا ارْتَفَعَتْ مَكَانَتُهُ فَهُوَ تَابِعٌ لِلْخَلِيفَةِ، وَمَهْمَا بَلَغَتْ إِمْكَانَاتُهُ وَطَاعَةُ الجُنْدِ لَهُ، وَمَهْمَا كَثُرَ الأَفْرَادُ الَّذِينَ يَقُودُهُمْ فَمَا عَلَيْهِ إِلَّا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَتَنْفِيذُ أَوَامِرِ الخَلِيفَةِ، وَهَذَا مَا أَرَادَ عُمَرُ أَنْ يُوَضِّحَهُ، وَنَتِيجَةُ مَعْرِفَتِهِ بِإِيمَانِ خَالِدٍ، وَحُسْنِ انْضِبَاطِهِ، وَطَاعَتِهِ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ سَاحَةَ التَّجْرِبَةِ، فَقَدْ وُفِّقَ عُمَرُ بِإِعْطَاءِ الدَّرْسِ وَكَانَ نِعْمَ الخَلِيفَةُ، وَوُفِّقَ خَالِدٌ بِحُسْنِ سَمْعِهِ وَطَاعَتِهِ فَكَانَ نِعْمَ الجُنْدِيُّ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِينَ كَانُوا جَمِيعَاً نِعْمَ القُدْوَةُ لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ.

وَفاةُ خالِدٍ

تُوُفِّيَ خَالِدٌ عَلَى فِرَاشِ المَوْتِ عَامَ وَاحِدٍ وَعِشْرِينَ لِلْهِجْرَةِ وَقَدْ بَلَغَ السِّتِّينَ مِنَ العُمْرِ، وَقَدْ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ: لَقَدْ شَهِدْتُ مِائَةَ زَحْفٍ أَوْ زُهَاءَهَا، وَمَا فِي جَسَدِي شِبْرٌ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ، أَوْ رَمْيَةٌ بِسَهْمٍ، أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ، وَهَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ العِيرُ فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الجُبَنَاءِ.

وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ: لَقَدْ طَلَبْتُ القَتْلَ مَظَانَّهُ فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي إِلَّا أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي. وَمَا مِنْ عَمَلِي شَيْءٌ أَرْجَى عِنْدِي بَعْدَ التَّوْحِيدِ مِنْ لَيْلَةٍ بِتُّهَا وَأَنَا مُتَتَرِّسٌ، وَالسَّمَاءُ تَهِلُّنِي نَنْتَظِرُ الصُّبْحَ حَتَّى نُغِيرَ عَلَى الكُفَّارِ. ثُمَّ قَالَ: إِذَا مِتُّ، فَانْظُرُوا إِلَى سِلَاحِي وَفَرَسِي، فَاجْعَلُوهُ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَاخْتُلِفَ فِي مَكَانِ وَفَاتِهِ فَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّهُ تُوُفِّيَ بِالمَدِينَةِ وَخَرَجَ عُمَرُ فِي جِنَازَتِهِ، وَأَنَّ نِسْوَةَ بَنِي المُغِيرَةِ قَدِ اجْتَمَعْنَ فِي دَارِهِ يَبْكِينَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا عَلَيْهِنَّ أَنْ يُرِقْنَ مِنْ دُمُوعِهِنَّ مَا لَمْ يَكُنْ نَقْعاً أَوْ لَقْلَقَةً.

وَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّهُ مَاتَ بِحِمْصَ، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى المَدِينَةِ عِنْدَمَا

اسْتَدْعَـاهُ عُمَـرُ، وَاعْتَمَـرَ، وَرَجَـعَ إِلَـى حِمْصَ حَيْثُ أَقَـامَ فِيهَا حَتَّى وَافَاهُ الأَجَلُ، فَيَرْوِي الوَاقِدِيُّ فَيَقُولُ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بنُ عَبْدِاللَّهِ بنِ عَنْبَسَةَ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِاللَّهِ الدِّيبَاجِ يَقُولُ: لَمْ يَزَلْ خَالِدٌ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ حَتَّى تُوُفِّيَ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَاسْتُخْلِفَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ، فَلَمْ يَزَلْ خَالِدٌ مَعَ عِيَاضٍ حَتَّى مَاتَ، فَانْعَزَلَ خَالِدٌ إِلَى حِمْصَ، فَكَانَ ثَمَّ، وَحَبَّسَ خَيْلاً وَسِلاَحاً، فَلَمْ يَزَلْ مُرَابِطاً بِحِمْصَ حَتَّى نَزَلَ بِهِ، فَعَادَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّ خَيْلَهُ الَّتِي حُبِسَتْ بِالثَّغْرِ تُعْلَفُ مِنْ مَالِي، وَدَارِي بِالمَدِينَةِ صَدَقَةٌ، وَقَدْ كُنْتُ أَشْهَدْتُ عَلَيْهَا عُمَرَ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ لَئِنْ مَاتَ عُمَرُ، لَتَرَيَنَّ أُمُوراً تُنْكِرُهَا.

كَمَا رَوَى الوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ بنِ رَيَاحٍ، عَنْ خَالِدِ بنِ رَيَاحٍ، سَمِعَ ثَعْلَبَةَ بنَ أَبِي مَالِكٍ يَقُولُ: رَأَيْتُ عُمَرَ بِقُبَاءَ، وَإِذَا حُجَّاجٌ مِنَ الشَّامِ، قَالَ: مَنِ القَوْمُ؟ قَالُوا: مِنَ اليَمَنِ مِمَّنَ نَزَلَ حِمْصَ، وَيَوْمَ رَحَلْنَا مِنْهَا مَاتَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ. فَاسْتَرْجَعَ عُمَرُ مِرَاراً، وَنَكَسَ، وَأَكْثَرَ التَّرَحُّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: كَانَ وَاللَّهِ سَدَّاداً لِنَحْرِ العَدُوِّ، مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: فَلِمَ عَزَلْتَهُ؟ قَالَ: عَزَلْتُهُ لِبَذْلِهِ المَالَ لأَهْلِ الشَّرَفِ وَذَوِي اللِّسَانِ، قَالَ: فَكُنْتَ عَزَلْتَهُ عَنِ المَالِ، وَتَتْرُكُهُ عَلَى الجُنْدِ، قَالَ لَمْ يَكُنْ

لِيَرْضَى، قَالَ: فَهَلاَّ بَلَوْتَهُ؟

وَقَالَ مُصْعَبُ بنُ عَبْدِاللَّهِ: لَمْ يَزَلْ خَالِدُ بِالشَّامِ حَتَّى عَزَلَهُ عُمَرُ، وَهَلَكَ بِالشَّامِ، وَوَلِيَ عُمَرُ وَصِيَّتَهُ.

وَرَوَى جُوَيْرِيَّةُ: عَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَمَّا مَاتَ خَالِدُ لَمْ يَدَعْ إِلاَّ فَرَسَهُ وَسِلاَحَهُ وَغُلاَمَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا سُلَيْمَانَ، كَانَ عَلَى مَا ظَنَّنَاهُ بِهِ.

وَرَوَى مُوسَى بنُ طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِاللَّهِ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي طَلْحَةَ إِلَى مَكَّةَ مَعَ عُمَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ نَحُطُّ رَوَاحِلَنَا إِذْ أَتَى الخَبَرُ بِوَفَاةِ خَالِدٍ فَصَاحَ عُمَرُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، يَا طَلْحَةُ هَلَكَ أَبُو سُلَيْمَانَ، هَلَكَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ. فَقَالَ طَلْحَةُ:

لاَ أَعْرِفَنَّكَ بَعْدَ المَوْتِ تَنْدُبُنِي
وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادَا

وَأَرَى أَنَّهُ مَاتَ بِالمَدِينَةِ، إِذْ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى حِمْصَ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْهَا ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ. وَأَمَّا القَبْرُ الَّذِيْ بِحِمْصَ فَهُوَ قَبْرُ خَالِدٍ بنِ يَزِيدَ. وَنُسِبَ إِلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ حَتَّى لاَ يُنْبَشُ عِنْدَمَا حَدَثَتْ صَرْعَةُ نَبْشِ قُبُورِ بَنِي أُمَيَّةَ عِنْدَ زَوَالِ سُلْطَانِهِمْ. وَاسْتَمَرَّ صَاحِبُ القَبْرِ يَحْمِلُ اسْمَ الَّذِيْ نُسِبَ إِلَيْهِ ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ.